مـــريـــم

أنور وجدي

obeikandl.com

اسم الكتاب: مـــريـــــم

المـــــؤلف: أنور وجدي

الناشـــــر: مكتبة بورصة الكتب للنشر والتوزيع

تصميم الغـلاف: محمد فـــاروق

قسم الكمبيوتر: حسام حسين

مكتبة

بورصة الكتب للنشر والتوزيع

25 **شارع شريف- القاهرة**

02/23920369 - 01287972797 -01001889363

رقم الإيداع : 2114 /2012

الترقيم الدولي:

978-977-5016-17-1

حقوق الطبع محفوظة

obeikandl.com

وجدي، أنور.
مريم رواية/ أنور وجدي . ط1.- القاهرة: بورصة الكتب للنشر والتوزيع،2012 .
160ص؛ 20سم.
تدمك:1 -17 -5016-977-978
1- القصص العربية.
أ- العنوان.
813

رقم الايداع
2012/2114

الترقيم الدولي:
978-977-5016-17-1

obeikandl.com

مـــريـــم

أنوروجدي

الطبعة الأولى

2012م

obeikandl.com

مقدمة

أبادر فأقول

إن هذه القصة حقيقية مائة في المائة، وإن كان كل شخوصها قد رحلوا إلى عالم آخر وتوارو تحت الثرى.

للأسف

إلا بطل هذه القصة، فهو الوحيد الذي ما زال حيا، يشغله هذا السؤال الذي أعياه البحث عن جواب له.

لماذا هم؟؟

ولماذا هو؟؟

لماذا ذهبوا جميعًا؟

ولماذا لم يذهب هو كما ذهبوا؟

المؤلف

أنور وجدي توفيق

المنيا- أرض سلطان

العاشر من أغسطس 2001

obeikandl.com

الجمعة 17 سبتمبر الساعة العاشرة مساءًا:

.. ولم أستطع أن أمنع أفكاري من أن تثور وتتلاطم وتتشابك وتتماوج بداخل رأسي . بل وتحاول جاهدة أن تشق طريقها كى تخرج من محيط هذا الرأس إلى خارجه .

كانت تلك الأفكار تشكل طوفانًا هادرًا ، يحمل فى طياته أشلاء ذكريات سعيدة هانئة ولت وأدبرت ، كما كان يحمل بين جوانبه أيضا أنّات ووخزات ألم ولسعات الأسى للحظات تحمل بعض المرارة والأحزان ، كذلك كان من بين تلك الأفكار الهادرة والتى كانت تعتمل بداخل رأسى ما لا يحمل ملمحا معينا أو يعكس شعورا أو احساسا بأى شيء على الإطلاق .

وقد حاولت جاهدا طرد تلك الأفكار من مخيلتى – سواء أكانت هانئة أم مؤلمة – ومن ثم أركز أفكارى وأستمع إلى خطبة الجمعة، ولكن للأسف فشلت.

وحين أطال إمام المسجد فى إلقاء خطبته بدون داع ، أحسست أنه من الأربح لى أن أتحمل صخب الطوفان الهادر والذى مافتئ يحتدم بداخلى ، عن تلك الرتابة والملل اللذان كانا يجلبهما إمام المسجد فى خطبته ، بسبب تكراره لنفس الكلمات والمعانى والمقاطع أكثر من مرة ، بل وبدون حتى أن يكلف خاطره أن يغير من نبرة صوته ارتفاعا أو انخفاضا ، حتى يجعل لها التأثير المطلوب فى نفوس وأذهان سامعيه.

وبالطبع لم يمنع هذا التكرار وتلك الرتابة من خروج شهقات الاستحسان من أفواه بعض السامعين الذين كانوا يتابعون كلماته بل وأحيانا كنت أرى أحدهم ينتفض فجأة كالعصفور ويصدر من أعماقه – وعن حق – آهة إعجاب ووله بما كان يقوله الإمام ويكرره ، بل وأستطيع أنا أن أقسم أنى شاهدت أعين البعض وهى منداة بالدموع من تأثير ما يستمعون إليه .

إلا أن كل ذلك لم يستطع أن يصرف ما يدور بذهني ورأسي من الأفكار المتصارعة والتي كانت رحاها تحتدم بداخلي والتي لا ولم أعرف لها سببا يجعلها تتلاطم بهذا الشكل وفى هذا الوقت بالذات .

وحين فرغت من أداء الصلاة وخرجت مع الخارجين من المسجد ، استمعت إلى بعض تعليقاتهم عن خطبة ذلك الإمام ووجدت استحسانا من البعض وعدم تقبل من البعض لهذا التكرار ، وأنه كان من الممكن اختصار الموضوع إلى عشر هذا الوقت بل وأن هذا الاختصار كان سيجعل الموضوع أكثر تركيزا ، وأشد أثرا وأعمق إثراءً فى النفوس.

من ناحيتى أنا ، فقد قررت أن أقوم بتغيير هذا المسجد إلى مسجد آخر يؤمن صاحبه بأن خير الكلام ما قل ودل....

كذلك كان هناك سببا أخر لاتخاذي هذا القرار ، فإن كثرة المصلين المترددين على هذا المسجد بالذات لاتساع ساحته وكبر مساحته ، أغرت الباعة الجائلين بالوقوف أمام الباب والنداء على مبيعاتهم بطريقة لا تليق بجلال المكان أو بهيبته .. وكذلك بصورة لا تتلائم مع فكرة أننا على أعتاب قرن من الزمان.. واستقبال قرن آخر جديد..

نعم.. نعم.. هذا لا يليق بهيبة المكان وجلاله.. ولا بحضارة العصر الذى كنا نعيش فيه .....

أجل حضارة عصر ما يسمى بالألفية الثالثة

واستأنفت سيرى إلى المنزل وأنا أقود السيارة ببطء حتى لا تؤثر اهتزازات المحرك على ما في ذهني من بقايا وأشلاء أفكاري المختلفة والمختلطة وكذلك حرصا منى على ترتيب تلك الخواطر والخلجات كى تتبقى فى ذهني لحين كتابتها .

وفى المساء... استرجعت كافة ما مر بي في هذا اليوم ودونته في هذه السطور..

***

الأحد 26 **سبتمبر**:

حاولت جاهدا أن أركن إلى النوم ...لكن دون جدوى

كنت قد فرغت من قراءة قصة بعنوان كل شيء هادىء فى الميدان الغربى "للمؤلف أريك ماريماروك" ورغم هذا العنوان الذى حملته إلا أنها كانت تحكى عن الأهوال البشعة والمذابح الوحشية التى صاحبت الحرب العالمية الأولى وما نتج عنها من تدمير فى الأماكن وأنهيار فى النفوس والأفكار.

تجاوزت الساعة الرابعة فجرًا ... ولما ازدادت وطأة الأرق ، استسلمت لطائفة أخرى من الأفكار المختلفة والتى أصبحت زائرا يوميا بالنسبة لى .

من بين تلك الأفكار المختلفة والتى اعتادت على زيارتى ، داخلتنى فكرة لم تطرق من قبل حبل أفكارى ... بل ولم تطرأ على ذهنى قبل هذه الليلة

كانت الفكرة شاحبة بعض الشيء ..ومختلطة ببعض الأفكار الأخرى بل ومتداخلة معها بشكل معقد ومتشابك ، كذلك لم تكن واضحة المعالم أو الأسباب أو البواعث أو الظروف التى أتت بها إلى ومزاحمتها لباقى الأفكار التى تنتابنى .. إلا أن هذه الفكرة الشاحبة والطارئة والتى كانت تتمثل فى الأقدام على الانتحار – لم تلبث أن كانت تولى مدبرة وهى تتعثر فى أذيال غموضها وغرابتهاوشحوب وهشاشة مشروعيتها كذلك ضعف مبرراتها إزاء عدم تقبلى الشديد والحاسم لها .

وحين أطل الصباح بنوره ورفعت بصرى المكدود إلى الساعة المثبتة أمامى على الجدار أدركت أنى لم أهنأ ولو ببرهة يسيرة من النوم .

لا بأس

واستأنفت التعايش مع الحياة بحلاوتها ومرارتها وحلاوة الحياة كثيرة ومتنوعة .. ولكن مرارتها أشد قسوة ووطأة أحيانا....

وأحيانا أخرى أجد أن الحياة لها مذاقا مرا .. ولكن حلاوتها ومباهجها سرعان ما تزيل من النفس أثار تلك المرارة ولو كانت مثل لجة البحر..

وتلك روعة الحياة كما خلقها الله سبحانه وتعالى

تذكرت قولا مأثورا كنت قد قرأته من قبل

" حلوة تلك الحياة .. ولكنى لم أحيا فيها ولو للحظة واحدة للأسف "

***

obeikandl.com

الاثنين 27 **سبتمبر مواصلة** :

أضأت نور الحجرة فى محاولة يائسة كى أجلب النوم إلى أعينى ، ومن ثم أهرب من تلك الأفكار ونوبات الأرق والقلق التى تنتابنى بوادرها كل ليلة كالمعتاد . ويبدو أن تلك الوسيلة قد نجحت إلى حد ما ، إذا ما لبثت أن أُخذت فى سنة من الكرى بعد طول أرق وسهاد مضني مضى لمدة يومين كاملين ولم ألبث إلا قليلا فى هذه الغفوة حتى انتفضت مفزوعًا أثر وقائع حلم غريب ألمت بى جعلتنى أستيقظ وأنا أرتعش خوفا وفزعا بل ورعبا وهلعا من هذا الكابوس المخيف .

كانت وقائع الحلم مفزعة .. بغيضة .. وكئيبة وتبعث فى النفس انقباضا شديدا وبرودة هائلة .

كنت أقف فى ساحة كبيرة خيم على جوها لون الاصفرار الضارب إلى الحمرة ، مشاهدا ومتابعا لعملية حرق جماعى لمجموعات كثيرة من البشر . وكنت أشاهد تلك المجموعات التعسة وهى تساق إلى مصيرها المشئوم ، وقد ارتسمت فى أعينهم نظرات خلت من أى معنى أوتفسير ، وقد انتابتني الحيرة وأنا أحاول أن أفسر ما ارتسم على وجوههم وسحناتهم من معان . وتضاربت فى رأسى كل التفاسير ، ولكنى عجزت عن أجد تفسيرًا واحدًا يفسر تلك النظرات والمعانى التى تجمدت فى وعلى سحناتهم .

إن ما كان يعلو تلك الوجوه لم يكن فزعا أو خوفا أو قلقا أو رعبا بأى حال من الأحوال ..

كانت نظراتهم ثابتة ومركزة إلى الأمام وخطواتهم منتظمة وليس فيها اضطراب أو تردد.

كأنما قد دربوا على هذه المشية مرات كثيرا من قبل ، ولذا فهم يؤدون ما يؤدونه فى ثبات وتركيز ودوت تفكير.

وربما ظهرت نظرات لا مبالاه فى أعين البعض.
وخضوعا فى أعين البعض الآخر
ربما
وبعد تمام عمليات الحرق الجماعى هذه داخل الأفران أو المحارق والتى كانت قد أعدت سلفا ، كان يتم استخراج بعضا منهم من داخل المحارق كنوع من التأكيد على أن العمل يجرى بطريقة صحيحة .. بالطبع كانت الهياكل المستخرجةمشوهة تشويها بشعا إلا أنها كانت كاملة الأعضاء .
فقط تحولت إلى اللون البرونزى المائل إلى الاحمرار..
وهكذا استمرت عمليات الحرق لهذه الخلائق بشكل منتظم
كان الجو تسوده قتامة شديدة وكآبة مخيفة وانقباضا مفزعا وسكونا رهيبا..
أجل .. سكونا رهيبا فلم اسمع أحدًا منهم ينبس ببنت شفة أو آهة اعتراض أو حتى أنه ألم أو تأوه ووجع ..أو صرخة رعب ، لا قبل دخولهم وسوقهم إلى حتفهم الشنيع الذى سيقوا إليه
ولا أدرى هل كان جبرا عنهم أو كانت لهم فرصة الاختيار فلم يكن هناك ما يؤكد ذلك أو ينفى هذا- أو بعد خروجهم على هذا النحو الذى رأيته.
المفزع فى الأمر ، أنه وبحكم مكانى مشاهدا لتلك المحرقة الرهيبة كانت الجموع تمر على وهى مسافة إلى هذا المصير البشع ، أقول إن المفزع فى الأمر أن تلك المخلوقات التعسة وتلك الأجساد التى شوهتها المحارق لم تحاول أن تستنجد بى .. بل كانوا ينظرون إلى وكأنما سوف أساق مثل سوقتهم هذه حين يحين الدور علىّ.
استيقظت فزعا – وإن كانت كلمة فزعا لا تصف ما كانت عليه حالتى على الإطلاق – وخيل لى وأنا أنظر فى رعب وفزع إلى الردهة الصغيرة الممتدة ما بين غرفة النوم وصالة المنزل – خيل إلى أن هناك بعضا من هؤلاء الناس يستندون على

جدار الردهة – وبعضهم يجلس على الأرض واضعا رأسه بين يديه فى انتظار سوقه إلى مصيره التعس مرة أخرى

– لا..لا..لا..

– لم يكن ما ألم بي كابوسًا مفزعًا بأي حال من الأحوال..

– ولم يكن ما رأيته حلمًا مهولاً..

– لا..لا..لا.. إن الأحلام لا تسير بهذا الترتيب – في اعتقادي – ولا بهذا النسق المنتظم.

– نظرت إلى زوجتى الراقدة بجوارى على السرير وتأملت ما ارتسم على وجهها من أمارات الهدوء وعلامات السكينة وحاولت أن أستمد منها- وبدون أن أوقظها – بعضا من العون وشيئا من الطمأنينة ، أهدىء بهما من روعى – ولكن دون جدوى ، فقد كانت تغط فى نوم عميق إلا أننى لاحظت أن هناك ظل ابتسامه باهته تعلو وجهها وهى نائمة . غير مدركة أنه وعلى بعد مسافة صغيرة جدا من المكان الذى ترقد فيه كانت تدور رحى محرقة مخيفة شديدة القتامة سيق إليها العشرات من المخلوقات التعسة وقد كاد الدور أن يأتى على !!

– لولا..

– حين رأيت ظل تلك الابتسامة الباهتة والهدوء يرتسمان بوضوح وجلاء على وجه زوجتنى أيقنت حينئذ أن ما عشته منذ لحظات لم يكن كابوسا أو حلما مفزعا

– نعم .. نعم لم يكن ما عشته كابوسا

وأستطيع أن أقسم على صدق كلامى

لم يكن ما رأيته حلما من الأحلام المفزعة

ولم يكن ما شاهدته رؤية من الرؤى التى تنتاب المرء فى حال ما بين اليقظة والنوم .

كان شيئا لم أجد له تفسيرا أو شرحا

ولم ألق له فهما أو تحليلا

كثيرا ما تكون الأحلام المفزعة التى نحلم بها امتدادا طبيعيا لجزء من حياتنا الواقعية .. أو من تأثير تصرفات الغير .. والعكس صحيح أيضا .. أى أنه أحيانا ما تكون حياتنا التى نحياها امتدادًا لما نراه فى أحلامنا المفزعة ، ولا يوجد حائل أو حاجز يفصل ما بين الاثنين . هذه العبارات كنت دائما أسمعها وأقرأها منذ زمن بعيد ، ولكن الآن أدركت معناها .. وأيقنت بصحتها ومدى واقعيتها..

أحلام مفزعة ورؤى بغيضة نتج عنها شعور بالاكتئاب والقتامة ظلا يلازمانى ويتماوجان فى مخيلتى . بل ويسوماننى رهقا ورهبا شديدين ، ولم أجد مهربا .. فقمت بإشعال سيجارة لعلى أجد فى حلقات دخانها ما يغير مما ترسب فى مخيلتى من كآبة وانقباض

ولكن دون جدوى

وحين أخذت حماما دافئا وشعرت بتدفق المياه وانسيابها على جسمى ، شعرت بنوع من الطمأنينة والسكينة يسريان فى أوصالى ، حيث فكرت أنه من الممكن استخدام تدفق المياه وانسيابها كوسيلة لإطفاء صهد المحارق التى رأيتها أثناء نومى..

وراقت لى الفكرة وبساطتها الشديدة ..

الماء المنساب والمتدفق أمام المحارق المشئومة ..

لا مشكلة إذن..

الحل يسير وفى متناول الكافة – فى حالة – رغبتهم فى الحل

خرجت من الحمام .. وقمت بتسجيل هذه السطور

واستمرت.....

واستمرت تلك الحياة

الاثنين الحادي عشر من أكتوبر الثالثة فجرا:

لا جديد... ولا قديم ... الحياة تسير كما هو مقدر لها أن تسير وكما خط لها فى لوح القدر مهما فعلنا ومهما حاولنا ..

أما أنا ، فأحيانا كانت تغمرنى تلك الحياة بموجات من السعادة وتنقلنى ما بين ضفة بهجة وأخرى ، ارتشف من رشفات السرور والهناء ما يسكرنى .. وكذلك أيضا كثيرا ما كانت تسقينى كوؤس المرارة والكآبة والألم والحرمان بين لحظة وأخرى..

لا جديد..

الحياة كما هى الحياة..

أحس وأنا أكتب هذه الكلمات أننى أحمل بين جوانبى لمحات من فلاسفة قدماء عاشوا من قبل فى زمن موغل فى القدم وأننى يجب أن أمضى قدما فى تعاطى هذه الجوانب الفلسفية من فهم الحياة التى نحياها

لمحات فقط ..أما باقى جوانب وسبل معيشتهم ، فلا أعتقد

***

السبت 16 **أكتوبر** :

لا أعرف لماذا؟

حين يهجع الناس إلى مضاجعهم ليلا وتكف جميع الخلائق والكائنات عن النشاط ويخلد الكافة إلى النوم تبدأ أمواج من الحركة وشلالات من اليقظة وأنهارا من الحيوية والتوقد والتوهج ، كل هذا يدب فى أفكارى وتؤجج كالنار المضرمة بين جوانحى ، ثم يتبدد السكون والخفوت والهدوء الخارجى وينقلب إلى حرب ضروس بداخلى..

على استحياء أطلت من جديد تلك الفكرة الباهتة الملامح الناقصة التكوين المجهولة المولد والمنكرة المبعث والأسباب – وأعنى بها فكرة الانتحار..

كانت كفكرة تحاول مزاحمة أفكار عديدة فى رأسى ، إلا أنها كانت تطل فجأة ثم سرعان ما تولى الأدبار وتطوى فى زوايا المجهول وخبايا اللاشعور..

ولم تزعجنى تلك الإطلالة الشاحبة لهذه الفكرة المنكرة .. لسبب بسيط وهو أن كثرة سهادى واستمراره وكذلك الأرق الدائم الذى تنتابنى موجاته مع ما يصاحبه من توتر وكذلك من معايشة تلك الحياة وضغوطها ..أقول إن كل ذلك جعل من توارد تلك الأفكار وغيرها سواء كانت أفكارًا عادية أم تحمل ملمحا من ملامح الشذوذ والخروج عن المألوف ،أقول أن ذلك كان يعتبر . والحالة هكذا – أمرا طبيعيا ومعتادا بالنسبة لى .

على العموم لا شيء يقلق طالما أن كافة الأفكار التى تتوارد فى مخيلة الإنسان إنما تموج وتطوف وتصول وتجول داخل مسافة لا تزيد عن مساحة حبة البرتقال الناضجة هى رأسى ..

قمت بأداء صلاة الفجر وأعقبته ببعض الأدعية..

ثم تمددت فى النصف المخصص لى من الفراش

***

obeikandl.com

الثلاثاء 19 **أكتوبر**:

أمس استغرقت فى نوم عميق بعض الشىء .. وهذا كان شيئا نادرا بالطبع ، رأيت أثناء نومى أن الحديقة الملحقة بالمنزل وما بها من شجيرات صغيرة فى أمّس الحاجة إلى نظافة وتهذيب لأوراقها وكذلك تسوية أغصانها المتدلاة فى إهمال ، كما أنها تحتاج إلى غمرها بالمياه ، حيث وضح ذلك من ذبول بعض أوراقها واصفرارها وتساقطها .. مما جعلنى أمسك بخرطوم المياه وأقوم بريها .. وكذلك لم أنس أن أقوم بغسل أوراقها الصغيرة الشاحبة الإخضرار ..وأحسست بسعادة غامرة وأنا أقوم بهذا العمل الصبيانى بل وأهتز له .

وكذلك هى..

أقصد الوريقات الصغيرة الشاحبة الاخضرار ..

نسيت أن أكتب أنى مساء أمس وفى الساعة الثامنة والنصف تقابلت مع مريم وبالصدفة الجميلة – فى لمحة خاطفة لم تزد عن ثانية واحدة فقط – حين لمحتها هى وشقيقها الاصغر يخرجان من إحدى محلات بيع العطور المتلألأة الأنوار والمتناثرة الأضواء تلاقيت الأعين فقط وفى نظرة خاطفة ومختلسة لم تزد عن ثانية واحدة ..

قالت إنها ابتاعت نوعا مخصوصا من العطور كانت تعلم أنى أحبه وأعشقه حين كنت استنشقه مختلطا بعبيرها .. وقالت إن البائع سألها عما إذا كانت سوف تأخذ زجاجة العطر هذه لاستخدامها الشخصى أم ستهديها لأحد ما، وحين سألته عن سبب سؤاله هذا قال لها لأن هذا العطر لا يليق إلا بها فقط ومن ثم فلا ينبغى أن يذهب إلى أحد سواها وقالت إن شقيقها هو الذى قام بدفع ثمن ما ابتاعته ، وقالت أنها بحثت عنى فى كافة الأمكنة التى يحتمل وجودى بها ولكنها لم تجدنى .. وقالت

إن البائع قال لها إنه اختيار موفق جدا ، رغم أن هذا النوع من العطر لا يشتريه منه أحد على الإطلاق وذلك لغلو ثمنه وندرة وجوده وقالت إن الرجل قال لها أيضا إنها هى الوحيدة التى اتباعته دون سائر المترددات على المحل.. وقالت إن محل العطور كان مزدحما جدا ويعج بالفتيات والسيدات الجميلات إلا أنهن أخذن كلهن بجمالها ورقتها وأن كثيرا منهن طلب من البائع شراء مثل هذا العطر الذى اشترته هى ، ولكن البائع اعتذر لهن فى لطف وكياسة ، وقالت إنها كانت ترتدى فستانا نصفه الأسفل لونه أحمر قانيا ونصفه الأعلى لونه أسود ، لأن هذا الفستان بالذات كنت أحب أن أراها ترتديه – أما وجهها فكان مثل الزهرة البيضاء الوضاءة .. وقالت إن نسمة هواء تماوجت فأمالتها مرة ذات اليمين ومرة ذات اليسار وكادت أن تسقط من جراء تأثيرها لولا أنها استندت إلى إحدى الأشجار.

ولم أقل لها شيئا فلم يتسع الوقت لذلك ، فقط قلت لها إنه متعة أن تراها الأعين وقلت إن العبير الذى اشترته لا يساوى شيئا ، وأن هناك ما يفوقه رقة وشذى وجمال وأقصد.....

وابتسمت هى فرحة.. ولم تدعنى أكمل كلامى ..

ثم انطلقت هى وشقيقها بالسيارة وفى عينها كانت تطل نظرات زهو وثقة وخيلاء بل وغرور..

أجل ثقة وغرور وزهو لا شك فى ذلك

***

السبت 13 **نوفمبر بعض من حصيلة اليوم:**

ضغوط الحياة كثيرة ومرهقة والكل يشارك فى صنعها ، وبنسب متفاوتة ، حين وقفت أشعة الشمس على مصراع النافذة قالت زوجتى وقبل أن أفتح جفونى وأستيقظ أنه يجب على أن لا أنسى القيام بشراء وعمل أشياء كثيرة لزوم المعيشة المشتركة والحياة التى نحياها..

واستمعت إليها بنص عقل ونصف أذن وأومأت برأسى دلالة على السمع والإنصات والانصياع التام والكامل.

وهذا كان شيئا معتادا فى هذا الزمان..

بالطبع لم تكن من بين هذه التعليمات والعبارات أى مفردة من المفردات المشوقة مثل صباح الخير أو السؤال عن أخبارى أو حتى عن كوابيسى وأحلامى .. أو أى سؤال عابر يوحى بوجود الاهتمام أو يظهر مشاعر الود مما قد يسمعه المرء فى أماكن وظروف وتجمعات أخرى.

أحيانا أشعر بسعادة يسيرة وأنا أعايش هذا التسلط وأعانى من هذا القهر من جانب زوجتى تجاهى، حيث قال لي أحد أصدقائى ذات مرة وكنا قد فرغنا من صلاة المغرب أنا وهو قال لى " إن الله يقتص أحيانا من البشر ويعجل لهم بعضا من حساب الآخرة وعذابها ويجعلهم يتلقونه فى حياتهم الدنيوية مما يخفف عنهم الحساب يوم القيامة.

ففى الآخرة سوف يكون العقاب يسيرا بعض الشىء ما دام أن جرعات الألم التى قد نعيشها الآن وهى كثيرة سوف تستنزل من سيئاتنا فيها بعد ، يوم الحساب..

وأخفيت هذه المقولة عن زوجتى حتى لا تنعكس الأمور إلى الضد ولا أجد فى الآخرة ما أستنزله من سيئاتى

بل وأبقيت هذا اليقين سرا خاصا بي

***

obeikandl.com

الأحد 12 **ديسمبر قطع من حصيلة الأيام السابقة** :

للأسف ازدادت المساحة التى تملكتها تلك الفكرة ، وأخذت تحتل حيزا كبيرا من تفكيرى اليومى الدائم ، وبدأت تظهر فى أفكارى وبصورة أخذت تزداد سطوعا ونصوعا يوما وراء يوم بعد أن كانت تأتى على استحياء وغموض.

الفكرة فقط أما باقى التفاصيل فلم تترائى لى بأى صورة من الصور وأصبحت تلك الفكرة معتادة التردد والزيادة شبه اليومية خلال الأيام السابقة والتى لم أستطع كتابة يومياتى فيها بطريقة منتظمة ، ولكن حتى هذه اللحظة فإنى لم أعط لها جانبا من الاهتمام أو قدرًا من التركيز فيها..

إن رأسى كانت وسوف تظل ، مثل البحر الذى تصب فيه روافد وأنهار وجداول كثيرة، بعضها غزير المياه .. وبعضها مثل الشريان الصغير الذى تسير فيه المياه فى رتابة وبطء

وأعتقد أنى لست فريدا فى هذا الشأن- تسأل كسائر البشر – أشياء تطفو .. وأشياء تسبح ، أشياء تترسب .. وأشياء تدور وتمور ..وأشياء تتعلق بشواطىء البحر .. وأخرى تجرى مع جريان المياه وتجرفها الأمواج

-أشياء تحيا

-وأشياء تموت .. قطعا تموت

***

1 يناير السبت مقطعا من حصيلة ما سبق :

عام جديد.. حل فجأة على البشر وكأن حلوله لم يكن متوقعا ..

حين ترسخت هذه الأفكار فى ذهنى وأصبحت تلح على خواطرى قررت.. ولو على سبيل الاحتياط – أن أفكر فى الطريقة التى سوف أنفذ بها بهذه الفكرة الشيطانية .. أو بمعنى آخر بدأت أفكر فى التفاصيل ، وحين هممت بذلك وجدت أن تفاصيلا كثيرة وأفكار شتى وتخيلات عديدة وثبت إلى خيالى وذهنى مرة واحدة ، وكأنما كانت تقف فى انتظار من يستدعيها ويطلبها.

إلا أن كافة ماتوارد إلى ذهنى لم يلق قبولا لدى، لسبب بسيط هو أنى لم أكن، أعرف بالضبط لماذا هذه الفكرة ؟

ولماذا التنفيذ؟

ولماذا التفكير فى هذه الفكرة نفسها من الأصل؟

لماذا الانتحار؟

لماذا استئصال الحياة البشرية عموما ؟

لماذا وأدها؟

إن ملك الموت يقوم بعمله فى كل لحظة وعلى أكمل وجه .. ولم يطلب المساعدة من أحد

فلماذا التطوع ومساعدته ..؟؟

هل هو مجرد البحث فقط عن أى شكل من الأشكال لإحداث تغيير ما فى مسرح الحياة ..؟

ربما

هل هو طلب الراحة من الحياة وعبثها وضغوطها .. ومشاكلها ؟

ربما

هل هو الهروب

ومن ماذا.

هل هو الهروب من زوجتى ؟

الحق أننى حين فكرت فى هذا الخاطر الأخير كسبب مشجع لتنفيذ هذه الفكرة أصابنى الفزع ، ذلك أنه وبحكم ثقافتى الدينية المحدودة ، فأنى أعرف أن الشخص الذى يقدم على الانتحار فإن مصيره نار جهنم ..وحينئذ قلت لنفسى ماذا سوف يكون عليه الأمر لو أنى أقدمت على الانتحار وأدخلنى الله النار أو ليس هناك احتمال أن ألتقى بمن أنا أحاول الهروب منه؟

أى زوجتى

ألـن تبدو فكرة الانتحار عندئذ فكرة عبثية خالية من أى معنى أو هدف؟

بل وأحست أن هذه الفكرة تحتوى على قدر من الحماقة والغباء أكثر من ذى قبل

على العموم كانت موجة البرد الشتوية التى صاحبت احتفالات بدء العام الجديد والتى اقتربت من درجة الصفر أو مادون ذلك وإلى حد التجمد.. أقول إن ذلك كان فرصة لتشجيع ولمعان هذه الفكرة فى مخيلتى ، حيث سينعم الذى يقدم على الانتحاربالدفء ومن هذا الجانب لاقت الفكرة قسطا من التأييد والقبول.

***

الجمعة 14 **يناير** 2000 :

بالرغم من أنى قررت بينى وبين نفسى أن لا أتردد على هذا المسجد مرة أخرى وأننى يجب أن أبحث عن مسجد آخر ، إلا أننى انتبهت إلى نفسى ظهر اليوم فوجدت أنى إنما استمع إلى نفس الخطبة ونفس الكلمات ونفس الرجل ، وحين نظرت حولى ورأيت نفس الوجوه ونفس النظرات ونفس إمارات الدهشة وآيات الإعجاب ،ارتسمت على وجهى ابتسامة واسعة وأنصت أنا أيضا باهتمام شديد إلى الخطيب وهو يتحدث

هل يعقل أن أكون أنا على صواب ؟ بمفردى ؟

والعشرات والمئات على خطأ؟

ربما

قرارى الأخير إذن أنى سوف أظل مواظبا على التردد على هذا المسجد بالذات ، ولن أحيد عنه أو أغيره مهما حدث.

ولكن لم أعرف سببا لاتخاذى لهذا القرار

***

obeikandl.com

الثلاثاء 18 **يناير** :

السبب الحقيقى – على ما يبدو لى – فى بروز فكرة الانتحار وتسلطها على أفكارى بهذا الشكل الطاغى ، هو أن لى محبوبة ..

أجل محبوبة صغيرة وجميلة ورقيقة .. بل هى الرقة نفسها وأنا أهيم بتلك المحبوبة وجدا وحبا وشوقا وحنانا .. وأحمل لها كافة المشاعر والعواطف التى تطرق إليها الشعراء والمحبون منذ بدء الخليقة حتى اليوم .. بل وأحمل لها فى جوانحى ما لم يستطيعوا أن يتطرقوا إليه أو يصفوه ..

لا يستطيع قلم أن يصف كيف تكون سعادة المرء حين تتفتح أعينه وخلجاته وحواسه ومشاعره وكل كيانه فجأة فيجد نفسه يسبح فى نهر من السعاده والصفاء اللامتناهى والمقترن بالألم والشجن والآهات والسهاد والدموع والأحزان الممزوج بالسرور المخدر ، فيدرك أن هذا النهر الذى يسبح فيه ،إنما هو ما يسمى بنهر الحب

وأن ذلك البحر المسحور الذى يبحر فى مياهه وينساب مع موجاته اللينة الناعمة أنما هو بحر الشوق وموجات المتعة والعشق ..

أجل نهر وبحار من السعادة والمتعة الممزوجة بالألم والشجن والآهات والحيرة والدموع ..

إنه الحب ..

رحماك يا ربى ..

كيف تتولد السعادة والمتعة والهناء من رحم الألم وآهات التوجع ..

وكيف ينبع نهرمن الصفاء والحب ويتفجر من جوف الشقوة والعذاب..تماما كما تسيل قطرات الماء العذبة وتنحدر من قلب الحجر الأصم..

وكيف يحدث العكس أى كيف تتولد أنّات الألم ولحظات العذاب وبحار الحيرة والأحزان وموجات الدموع من رقرقة السعادة والهناء والمتعة .

وكيف يتسنى لمخلوقة وديعة أن تستحوذ على حياة رجل بالكامل ،فلايرى من الكون إلا هى فقط 0ولا يستنشق فى الدنيا عبيرًا إلا عبيرها 00ويشعر أن حياته إنما بدأت برؤيتها 00

ويشعر شعورا جازما بانه كان يعرفها ويتلمسها ويلمسها منذ آلاف السنين .. وأنها هى .. وهى فقط ما كان يبحث عنها طيلة حياته

كيف؟!

والأصل أن المرأة خلقت كى تكون مصدر فرحة الرجل وسر سعادته وبهجته..

وأيضا مبعث شقائه وتعاسته وألمه وأحزانه 0

فبسبب ظروف تحوطها وتلفها الغرابة ،كذلك بسبب سلسة من الأحداث القدرية والصدف المعقدة والمتشابكة والتى دائما ما تكون متشابهة فى اغلب قصص الحب البشرى عموما.. أقول أنه بسبب هذه العوامل والأسباب وجدت نفسى أنا وهى –أقصد حبيبتى الصغيرة – أننا فى مأزق لايسهل الخروج أو الفكاك من براثنه او التحلل من شباكه وخيوطه ومن أسره بدون دفع الثمن ،وأن الثمن سوف يكون فى كافة الأحوال ،فوق قدرة احتمالى أنا أوهى

إما أن نفترق ...وهذا محال...وإما أن نبقى علاقتنا فى الخفاء ، وهذا فوق طاقة واحتمال مشاعرنا وأحساسنا وكذلك وضعها هى ووضعى أنا الاجتماعى علما بأن هذا الحال قد طالت مدته ...وإما –وهذا الحل هو الثالث والأخير –فهو أن تتوج قصة الحب التى جمعتنا أنا وهى ومازالت تجمعنا خلال خمس سنوات بإعلان زواجنا علنا بعد أن ظل سرّيًا خافيًا عن الأعين طوال هذه الفترة..وبالتالى أفِي أنابما

قطعته لها وعلى نفسى بأن أكون لها ..ولها هى فقط ..طوال عمرى ..وأن يتحقق حلمى وحلمها فى أن نحيا الحياة كما نريدها نحن ..لا كما يراد منا أن نحياها .

وإلافالموت بالنسبة لى أهون من هذا

أن يرى العالم هذا الزواج ..ويباركه ويحنو عليه .

ما أجمل هذه الكلمات ...وما أرق ما توحى به من معانى وفرحة بالنسبة لى الجمل والكلمات رقيقة وتنساب فى سهولة وعزوبة حالمة ويسر ...

وأن نستكمل ما تبقى لنا من العمر أنا وهى فى منزل صغير على أحد الشواطىء المنعزلة عن العالم كله.. بعيدًا بعيدًا عن الدنيا بأسرها ..

وليكن بشاطىء مرسى علم فهذا ما اخترناه ، أنا وهى مكانا لنا فى أحلامنا ولكن ذلك كان دونه خرط القتاد..

فلو علمت زوجتى – ولو على سبيل الفرض والتخيل النظرى فقط- بجزء من هذه الأحلام أو الحقيقة لساعدتنى كثيرا على تنفيذ تلك الفكرة التى تراودنى ، أعنى بها فكرة التخلص من الحياة بل ولسارعت بتهيئة كافة الظروف لتنفيذها ، ولوضعت أكثر من عشرات الطرق والأساليب كى تجعل من هذه الفكرة الغريبة أمرا واقعا .. بل ومن الممكن أنها كانت ستقوم بحملى وإرغامى على تنفيذ عملية الانتحار ثم التفكير فى جدواها بعد ذلك!!

وهى واسعة الحيلة والتخطيط فى هذا المجال ..

لست مبالغا .. ولا أشكك فى حتمية الحياة ، أو قدرية الموت ولكن حين يتعلق الأمر بزوجة ما ، فأن مجريات المنطق والمعقول سرعان ما تتوارى جانبا .. وتفسح المجال لقواعد لا منطقية وغير مألوفة ..

فى عام 1987 أعلنت أحدى الهيئات الخاصة والتى تعتنى أنشطتها بالعوامل التى تؤثر سلبا أو إيجابا فى السلوك البشرى على وجه العموم ، أعلنت تلك

الهيئة عن عزمها إقامة مسابقة نسائية إقليمية تعقبها تصفيات أخرى على المستوى القومى فى العام الذى يليه وكان موضوع المسابقة هو اختيار أحسن البحوث المقدمة فى هذا المجال ، وكان الموضوع الذى سوف تقدم فيه البحوث يحمل عنوانا جذابا هو تطور أساليب النكد على الازواج ومدى مواءمتها للعصور الحديثة.

وقد قدمت عشرات البحوث فى هذا الشأن من السيدات اللائى وجدن فى أنفسهن أنهن برعن فى هذا المجال تأليفا وتطبيقا..

وقد جاءت التصفيات مخيبة لآمال الكافة ، حيث استبعدت جميع البحوث المقدمة لهذه المسابقة لعدم رقيها إلى المستوى المطلوب .. إلا بحث واحد نالت صاحبته الجائزة الأولى عن استحقاق وجدارة .. فى مجال التأليف والتطبيق .. مع إعطاء أمثلة من الواقع تطابق ما كتبته..

وقد حجبت باقى الجوائز عدا الجائزة الأولى بالطبع..

وكانت الفائزة الأولى والأخيرة فى هذه المسابقة .. طبيبة شابة تعمل فى مجال الطب الشرعى والسموم .. وقد نال بحثها المركز الأول بإجماع الآراء..

وكانت الطبيبة الشابة على قدر كبير من الجمال وخفة الظل ، بالإضافة إلى تمكنها وإجادتها فى هذا البحث الذى قدمته

ولقد كنت أنا أحد أعضاء لجنة التحكيم التى اختارت صاحبة البحث الفائز كى تنال الجائزة أو المركز الأول عن حق .

ومن مجريات القدر..

حدث التعارف بينى وبين تلك الفائزة.

الطبيبة الشابة والمتخصصة فى مجال الطب الشرعى والسموم..

وعضو لجنة التحكيم الذى يخطو على أولى مدارج الرجولة.

ومن مجريات القدر أيضًا..

تزوجنا أنا وهى بعد مرور ستة أشهر فقط من فوزها بالجائزة الأولى والأخيرة عن بحثها فى تطور أساليب النكد على الأزواج بما يجعلها تتوائم مع العصر الحديث وعشنا أنا وهى فى سعادة غامرة حتى اليوم !! لدرجة أنى أحيانا أقول لنفسى إنها لم تكن هى التى تقدمت بهذا البحث .. بل ولا يمكن أن تكون قد فكرت فيه على الاطلاق .. فهذا مناف لطبيعتها .. وأنه ربما كانت هناك شخصية أخرى غيرها تقدمت بهذا البحث وحدث خلط بينهما ..

ما أسخف الواقع لو لم نكن نراه من خلال أحلامنا الجميلة وروأنا المبهجة.

فقد تناقشنا أنا وحبيبتى كثيرا فى فكرة إعلان زواجنا العرفى هذا والذى طال عليه الأمد .. وكم اتفقنا أنا وهى وحددنا تاريخا وموعدا لهذا الإعلان . غير أننا كنا دائما وعند لحظة التنفيذ ينتابنا شىء من التردد والخوف والقلق ، الخوف من إعلان هذا الأمر وكأنه وصمة عار.. والقلق من نتائجه وما سوف يترتب عليه .. وكنا نجبن فى أن نتخطى تلك الحواجز والموانع السخيفة .. بل ونشعر بالخوف من الهزيمة أمام جبال الأعراف والتقاليد والقيود الاجتماعية السائدة ، والتى تغلف حياتنا بنوع من الغلاف الزجاجى السميك والذى يجعلنا نحيا الحياة بداخله ونرى كل شىء من خلاله فقط دون أن نستطيع الفكاك من هذا الدورق الزجاجى الشفاف أو نحاول الخروج منه إلى خارج محيطه .

وربما كان الأمر – أمر تلك الموانع – من صنع تخيلاتنا أنا وهى فقط .. تماما مثل الذى ينحت صنما من الحجارة ثم يخاف من بطشه .. وأن تخطى وتحطيم ذلك الوعاء الزجاجى الشفاف كان أمرا سهلا .. وإن مكمن الصعوبة كان فى اجتيازه نفسيا .. وليس ماديا .. أى أن ذلك الجبل الضخم كان بسبب الضعف والخوف والتردد والقلق المتنامى بداخلنا ولم يكن أبدا مبعثه كبر حجم هذا الجبل الذى نواجهه وأقصد جبل الخوف من الأعراف والتقاليد..

وربما أن ترددى أنا بالذات كان مبعثه أنى لم أشأ = ودائما – فى أن أشيد فرحى وأقيم دعائم سرورى على أشلاء بهجة غيرى وهنائه وسعادته ..

غيرى الذى لم يجن شيئا ولم يقترف إثما ..

ربما..

وربما وعلى الأكثر ، أن ترددنا هذا كان سببه أننا كنا نرى أن هذا الخفاء وهذا الخوف إنما يضفيان على قصتنا لونا رومانسيا حالما ويشع فى سمائها أضواء متلألأة تلألؤ النجوم الخافتة

ربما..

ولم تكن هى بعيدة عن كل ذلك بالطبع ، فقد كانت جزءا منى وكنت أنا جزءا منها ، ولذا فقد كانت أحيانا ما تنتقل طبيعتى القلقة والمترددة والمتوجسة إليها هى أيضا وتؤثر فى أرائها ، ويحدث العكس أيضا بالنسبة لى حيث كانت قراراتى وأفكارى تتأثر بذلك الضعف الغريزى الموجود بداخلها – وهى المرأة- والمختزن فى أعماقها منذ أن خلق الله الأزل

ونتج عن ذلك أننا كنا نستكين إلى هذا الوضع الذى وجدنا فيه وعليه وبه ونعود هى تخفى قلقها وخوفها وتخنق آمالها .. وأنا أدارى ألمى وأحزانى وتعاستى ، بل وإخفاقى وعجزى فى أننى – وأنا العنصر الإيجابى – فى الموضوع لا أسطيع أن أوفر لمن أحبه قدرا من السعادة التى يتمناها ، والتى أتمنى له أنا أيضا أن يشعر ويعيش فيها

وشيئا فشيئا أصبح هذا التردد خوفا .. وأصبح هذا الخوف رعبا .. وتضخمت موجات التردد وأصبحت كالطود الأشم .. وأصبحت كومة الرمال تلا .. وأصبح التل جبلا .. بل جبالا

وفواصل سحيقة ..

وإزداد وكبر حجم الخوف فى أنفسنا من تخطى تلك الفواصل السحيقة أو حتى الاقتراب منها أو على الأقل كيفية التفكير فى إقتحامها وإزالتها ويتلاشى بداخلنا الإقدام على التنفيذ

والخوف والألم إذا لم نستطع منعهما والتخلص منهما ساعة وحال وقوعهما فسوف نتعايش تدريجيا مع وجودهما فى حياتنا .. ويصبح التعود عليهم بمرور الأيام أمرا معتادا .. ولذا فلن نجهد أنفسنا كثيرا فى محاولة دفعهما والتخلص منهما .

وكنت أحيانا أرى نظرات الحنو الممزوجة بالألم تشعان من عينيها .. وكذلك ومضات الأمل فى المستقبل ترتسم على محياها كلما شاهدنا أنا وهى أطفالا صغارا يلعبون ويمرحون ، حيث كانت تعترف لى بحبها الشديد للأطفال – ليس للأمومة فى حد ذاتها – بقدر ما كانت تتوق بكل كيانها فى أن ترى ثمرة الحب الذى يربطنى أنا وهى ممثلا فى نبتة صغيرة تحبو على الأرض فى مرح وحبور

– ولم أكن أنا أقل منها انشغالا وشوقا بل وألما وأملا فى أن أرى من هذه الزهرة الرقيقة أقحوانة جميلة تنسل وتنساب من بين أحشائها ، نبتة صغيرة تأخذ منى حبى وشوقى وحنانى وحنينى لها .. وتأخذ منها رقتها ونضارتها وعبيرها وشذاها وأريجها .. وقبل كل ذلك جمالها ورقتها ودلالها ..

أجل كنت أتوق أن أرى حبى وغرامى يمشى على الأرض مجسدا يحبو ويشب وينمو ويكبر ثم يبقى نضرا مع الزمن ..

وأحيانا كانت وفى غفلة منى ومنها تنخرط فى بكاء صامت ..كنت أحس ملامحة فى رعشة جسمها النحيل . ولكنها وفى كافة الأحوال ما كانت أبدا تنحو باللائمة على ، لأنها كانت تعلم أن حبى لها يفوق كل وصف ويتجاوز كل حدود.. أجل..

كانت تعلم أن حبى لها إنما يتضاءل الكون والعالم بجانبه ويصبح عدما..

لماذا ؟

لماذا يامريم وقعت فى حبك ؟؟ ..لماذا بادلتنى الحب بالحب؟
لماذا لم تقابلى مشاعر حبى لك بالاعراض والصدود والنكران؟
لماذا بادلتنى الحب بالحب؟
لماذا أعطيتتنى الذى لم يعط ولن يعطى لأحد فى الوجود..
لماذا جعلتنى أنهل من عطائك وأرتوى من جدول حبك
كان كل ذلك وغيره يفوق طاقتى .. ويتجاوز مقدرتى واحتمالى ..
وحين كنت أصل إلى هذه النقطة ، كنت أحس أن قلبى يتمزق .. وأن روحى تحترق وتنزف دما.. وإن كيانى ووجدانى يتفتتان إلى قطع وشظايا كثيرة متناثرة ..
ومن هنا ربما ولدت هذه الفكرة الشاذة الغريبة – التى داحلتنى ذات ليلة .. ربما..
هل ولدت تلك الفكرة والتى ما زلت أستنكرها – هل ولدت من رحم تلك الحيرة وسقيت من ماء هذا العجز والتردد وتغذت من دموع الألم ومهاوى اليأس والرجاء ورضعت من وهدة الاستكانة إلى هذا الوضع؟
ربما..
المثير للسخرية وكذلك لزيادة الخوف والتردد ويزيد من صعوبة الأمر من كل النواحى أنى إينما كنت أتطلع إلى صحيفة من الصحف فى هذه الأيام أو أشاهد برنامجا تلفزيونيا أو أقلب فى صفحات مجلة ، إلا وأرى بعض الجمعيات النسائية الناشطة وكذلك جمعيات حقوق المرأة وجمعيات حماية المجتمع من الأضرار – نعم من الأضرار – إلا وأجدها كلها تعلن الاستنفار العام والحرب ضد ما يسمى بالزواج العرفى!!
بل لقد ذهب البعض إلى تسميته بالزنا
فماذا أقول؟

امض يا مقدور بى كيف تشاء

امض

هل نملك تغيير المصير

كلنا تجرى بنا كف القضاء

ونحن لا نملك إلا أن نسير

❊❊❊

obeikandl.com

3 **فبرايـــــر:**

حين أخذت تلك الفكرة تمسك بتلابيبى وتحكم سيطرتها على أفكارى شيئا فشيئا بل وتسد كافة المنافذ أمامى إلا منفذا واحدًا فقط وهو الاقتناع بجدواها أيقنت بينى وبين نفسى أنه لا مناص من المضى قدما فى التنفيذ- تنفيذ الفكرة..

وأن هذا لا شك هو القدر المحتوم والمصير المؤكد..

الوسيلة لا تهم .. المهم النتيجة – فقط أردت أن لا يبدو الأمر على نحو عادى ، بل ويجب أن يحاط ببعض المظاهر التى تنم عن الرونق والوجاهة والوقار..

ولكنى حتى هذه اللحظة – لم أكن أعلم كيف- ولماذا؟

حين قرأت فى صحيفة يومية قليلة الانتشار ، أن أحزان المنتحر أحيانا ما تبقى متوارثة مع تركته وتنتقل إلى أحبائه وورثته ، قلت لنفسى أذن يجب أن يحاط الموضوع ويغلف بقدر من الرومانسية والخصوصية وأن يوضع فى شكل درامى ينأى به عن السوقية والجماهيرية بل ومن الأفضل أن يكون ببعض جوانبه شىء من الغموض والإبهام فالأحزان حين تتوارث، فيجب أن تكون فى ثياب أكثر نبلا حتى تبقى خالدة فى نفوس أصحابها وذاكرتهم على مدى الزمن.

***

27 **فبـــــرايـــر:**

تقريبا استقرت أفكارى على التفصيلات ، ولقد شعرت بشىء من الراحة وكأنما أزيح عن كاهلى عبئًا كان يرهقه

أولا : انتهيت إلى اختيار وسيلة هادئة ومجربة وملائمة وتفى بالغرض تماما فى مثل هذه الظروف ، وأيضا ، تحمل قدرًا من الرومانسية المطلوبة ، حيث إن من استقرائى لحوادث انتحار المشاهير والفنانين والفنانات الأجانب ، وجدت أنهم كثيرا ما يختارون مثل هذه الوسيلة وآخرهم كانت الممثلة الشهيرة مارلين مونرو على ما أتذكر وربما الممثل الفيس بريسلى أيضا ..ربما كذلك المغنية داليدا..

– عشرون قرصا من الأقراص المنومة تؤخذ دفعة واحدة ، حيث قال لى أحد الأطباء أن خمسة منها تكفى لقتل فيل أو جمل .. وأنا من باب الاحتياط قررت أن أشترى خمسين قرصًا أتناولهم بعد طحنهم فى جرعة واحدة .

-ليس استعجالا .. ولكن الخوف والحذر من الفشل

– ثانيا: يجب أن أفاتح زوجتى – فى اللحظات الأخيرة لى – عقب تناول العقار المميت ومن ثم أحكى لها فى عجالة عما حدث وأسبابه ودوافعه والنتيجة التى سوف تتحقق بعد لحظات قليلة من اعترافى لها.

نوع من التشفى النبيل الممتزج بعادات وأعراف القرون الوسطى.

– ثالثا: يجب أن لا تعلم حبيبتى أى شىء عن هذه الفكرة.

– رابعا: أن أستشير ومن باب الشكل فقط اثنين لا ثالث لهما ، وبالطبع ولن يكون لرأيهما أهمية فى الإقدام أو التراجع عن التنفيذ ولكن لمجرد أخذ الرأى فقط.

- أولهما : رجل من رجال الدين كنت أستريح إلى آرائه ومواعظه حين كنت أشاهد ه واستمع له على شاشة التليفزيون..
- والثانى هو أحد أصدقائى المقربين لى جدا جدا
- "جرس"
- "جرس" نعم هذا هو اسمه
- ولا ضرورة لباقى الاسم أو معناه ،فأنا لا أعرف من أين جاءه أبواه بهذا الاسم.
- "جرس"..
- ولكن لن أحكى له عن كافة التفاصيل ، بل يجب أن يكون هناك شىء غامض وخافيًا عليه، بل على الدنيا بأسرها كلما أمكن ذلك وبدون مشقة لى.
- خامسا: أن أقضى آخر يوم فى هذه الدنيا بجوار حبيبتى ، بعيدا عن العالم بكافة ما فيه ومن فيه..
- سادسا :لا شىء بعد ذلك يعتبر مهما ، فما بعد هذه الخطوة سوف يكون من مسئولية وشأن أناس وأفراد غيرى تماما ..وعلى ذلك فلم آبه بعمل أيه ترتيبات له أو إعدادٍ لخطواته.

***

- لم أستطع الانتظام فى كتابة هذه الأوراق خلال المدة السابقة والأيام الفائتة لوجود بعض الانشغالات فى العمل وفى الحياة ..وأذكر أنى تقابلت أنا ومريم أربعة مرات تناولنا فى الأولى طعام العشاء سويا ومكثت معى ما يقرب من خمس ساعات ،من الساعة الخامسة مساء حتى الساعة الحادية عشر تقريبا ..أما فى المرة الثانية فقد تناولنا أنا وهى طعام الغذاء فى أحد المطاعم غير المشهورة وكانت هذه مخاطرة بالنسبة لنا –رغم تكرارها كثيرا –ثم عدنا ومكثت معى حتى الساعة العاشرة مساء وأوصلتها بعد ذلك إلى منزلها سيارتى الصغيرة ووقفت ارقبها وهى تسير فى هدوء إلى مسكنها وقد التفتت هى إلى الخلف أكثر من مرة كى تفهمنى أنها على ما يرام ،لأنها كانت تعلم مدى قلقى وخوفى عليها وأنا أعلم أن التى تسير على الأرض إنما هى أغلى خلق الأرض جميعا .
- لم تكن هى التى تسير أوتخطر على الارض بتلك الخطوات الرقيقة. وإنما كانت روحى وكيانى .

أما فى المرة الثالثة فقد طلبتها أنا تليفونيا من مكتبى وطلبت منها أن أراها الساعة الواحدة ظهرا لأمر هام واتفقنا أنى سوف أمر عليها بسيارتى بجوار مقر عملها وعلى بعد مناسب منه وأنى سوف أعيدها مرة أخرى وبالفعل تم هذا وقد جاءت وعلى محياها الجميل إمارات الدهشة والحيرة والتساؤل والقلق عن سبب هذا الطلب المفاجىء.

- لاشىء كنت مشتاق إليك واردت أن أراك هل هناك ما يمنع؟

- أنا على العموم ملكك فكيف أمنع عنك شيئا أنت تملكه المسألة أنى فوجئت.
- فيه سبب تانى لطلبى وهو هذا

وأخرجت مظروفا صغيرا به مبلغ ألفان من الجنيهات .كنت قد رأيت من المناسب إعطائه لها وفتحت أنا حقيبة يدها ووضعت المظروف بداخله .

- كان من الممكن أن يتم هذا أول أمس أثناء وجودنا فى المطعم..
- أردت أن أراك أمس واليوم وغدا ..
- على اى حال ألف شكرعلى هذه الجملة الاخيرة.
- وأوصلتها إلى نفس المكان خلال نصف الساعة كما وعدتها بذلك وسارت هى ببطء فى بداية الأمر ثم نظرت إلى الخلف حيث كنت أقف أنامرة أو مرتين ثم أكملت سيرها ..وأنا أحتويها بنظراتى ..

أما المرة الرابعة فقد اقترنت بها مصادفة ذات طابع غريب بعض الشىء، فقد فرضت علينا بعض الظروف الاجتماعية أن نقوم بشراء هدية لإحدى زميلات زوجتى فى العمل ،ولذا فقد قصدنا أنا وزوجتى أحد المحال الشهيرة الكائنة فى شارع سليمان باشا بوسط البلد لشراء تلك الهدية ومن ثم لزيارة صديقتها وفى المحل الذى قصدناه اخترنا ما وقع عليه موافقتها وجلسنا بداخل هذا المحل متقابلين أنا وهى لحين فراغ البائع من بعض مشاغله وذلك لكى يتم دفع ثمن ما اشتريناه ومن ثم أخذنا نتناقش أنا وهى فى أنسب موعد للقيام بتلك الزيارة المزعومة .

وأثناء اندماجنا فى الحديث أحسست أنا بحفيف ثوب رقيق ينساب فى هدوء مارا فى المسافة القصيرة التى تفصل بينى وبين زوجتى ، ثم اختارت صاحبة هذا الثوب الجلوس على يمينى مباشرة.

وفى لمحة خاطفة عرفت أن التى جلست على يمينى مباشرة ، والتى أحسست بمرور حفيف ثوبها قبل برهة ..والتى اختارت أن تجلس بجوارى أناوتترك باقى مقاعد المحل شاغرة ..كانت مريم ...

المفاجأة كانت ثقيلة الوطء على ،فلم أدر هل أسر أم أنزعج لهذه المفاجأة الغير متوقعة ، إن كانت المشاعر يتم الإعداد لها سرورًا أو انزعاجا .

كانت تلك المرة ،هى المرة الأولى وربما الأخيرة التى تقابلت فيها المرأتان وجها لوجه ولا يفصل بينهما سوى مسافة صغيرة لاتزيد عن ربع المتر فقط رغم تلك الهوة السحيقة والمسافات الشاسعة التى تفصل وتباعد بينهما .

أجفلت إحداهن فجأة وكأنما داخلها شعور غريزى بوجود خطر داهم يتهددها ويحيط بها ..خطر مجهول لم تدركنهه أو ماهيته أو من أين سوف تهب موجاته وأعاصيره ، ومن ثم فقد انكمشت فجأة فى مقعدها وراحت تتشبث بمسانده بكلتا يديها ، وقد تلألأ طوق ذهبى صغير كان يزين أحد أصابع يدها اليسرى .

أما الثانية فقد أخذت تنقل بصرها فى هدوء حينا علىّ وحينا آخر على زوجتى الجالسة أمامى وأحيانا أخرى على باقى أرجاء المحل ، وقد ظهر على قسمات وجهها أن هناك شيئا ما، راح يعتمل فى أعماقها وتحاول جاهدة أن تجعله لا يطفو على السطح ، وقد وضح هذا جليا فى رعشة يسيرة كانت تكتنف جسدها النحيل .

وسقطت نظارتى الشمسية ذات اللون البنى من يدى أكثر من مرة .. وكادت إحدى الأقدام الغليظة أن تدوسها وتحطمها ..

وعدنا ولم نشتر شيئا بالمرة وتأجلت الزيارة التى كنا ننوى القيام بها .

وفى المنزل دق جرس التليفون أكثر من مرة وفى كل مرة كانت السكة تغلق فى وجهى فى عنف وقسوة شديدة.

وساد الوجوم والصمت فى أرجاء المنزل دون سبب ظاهر وفى المرة الأخيرة جائنى صوت مريم عبر الهاتف

قالت بنفس الهدوء المكتوم الذى كانت عليه فى المحل .

الإنذار الأخير بالنسبة لك .

ولم تزد عن تلك الكلمات شيئا آخر

ولم أستطع أنا أن انام . ليس خوفا من هذا الإنذار الأخير . ولكن لحيرة شديدة انتابتنى وقلق ممض حاصرتنى موجاته .

إن كلتاهما على حق ..

إحداهن لم تجن شيئا سوى أن الأقدار أوقعتها فى طريقى .. والأخرى لم تقترف إثما سوى أن الأقدار أوقعتنى فى طريقها .

أجل.. أجل إن كلتاهما على حق ..

وإذا كانت كلتاهما على حق ، فهل أنا المخطىء ؟؟

هل أنا الملوم..؟

وهل ينسحب المخطىء..

هل يتوارى ؟؟ هل يتلاشى..؟

هل..؟

هل يموت؟؟

وامضتنى دوامة من الألم الشديد

وفى صباح اليوم التالى قالت لى مريم إنها شاهدت سيارتى السوداء تقف أمام المحل فقامت بالدخول كى ترانى وقالت إنه لم يخطر ببالها على الإطلاق إننا

obeikandi.com

بالداخل سويا وقالت إنها لم تعلم أو تشعر بأننى متزوج من أخرى إلا فى هذا اليوم فقط ، وفى هذه اللحظة فقط وبداخل المحل.

وقالت فى لهجة مختنقة وممزوجة بالأسى :

-لقد فاجأتنى ..كان يجب عليك إخبارى من قبل .. كان يجب أن أعرف

- لم أكن أعرف أننا سوف نخرج إلا قبلها بوقت قصير..

-لا..لا.. لا أقصد ذلك..لم أعن ذلك ولكنك فاجأتنى.. فقط كان يجب أن أعلم ..

وأغلقت سماعة التليفون.

أعلم.. أعلم أنى أنا المخطىء..

أنا الملوم .. أعرف ذلك..

ولكن...

***

obeikandl.com

25 مـــــــارس :

اليوم قمت بشراء الأقراص المطلوبة .. كانت أولى خطوات التنفيذ ، فى البداية ، اعتقدت أن عملية الشراء سهلة ولكن حين وطأت بأقدامى أعتاب إحدى الصيدليات التى تقع فى أحد أطراف المدينة وطلبت من مديرتها هذا العدد من الأقراص رمقتنى المديرة أوصاحبة الصيدلية بنظرة احترت أنا فى تفسيرها وأخيرا وبعد لحظة خلتها دهرا خلعت نظارتها ذات العدسات الشفافة واعتذرت لى فى لباقة مغلفة بالبرود الوظيفى أو المهنى قائلة بأن ما لديها لا يزيد عن عشرة أقراص فقط.

- عشرة أقراص فقط !!

إن هذا العدد القليل لن يرسلنى إلا إلى أقصى غلاف الكرة الأرضية فقط ، ولن تغرى هذه الأقراص العشرة عزرائيل بأن يأتى ويباشر عمله !!

نسيت أن أقول إن صاحبة الصيدلية حين رأت نظرة خيبة الأمل ترتسم على وجهى قالت وبنفس برودها المهنى إن هذا العدد من الأقراص سيكفى العشرة أيام على الأقل لأنه ذو مفعول شديد.

ثم أردفت من خلف نضارتها ..

ومن الممكن بعد أسبوع أن أقوم بتوفير العدد المطلوب ، ولكن سيكون على مراحل ...

ولم أعلق على ما قالته وإن كان قد تراقص على لسانى أن أقول لها هازئًا

حتى الموت أصبح بالتقسيط فى هذا العصر..

ولم تخرج هذه الكلمات من حلقى..

وأخيرًا تم لى ما أردت حين وجدت ضالتى فى إحدى الصيدليات الغير مطروقة والتى تبعد عن الصيدلية الأولى مسافة كبيرة وكانت تدعى صيدلية الأمل واشتريت الكمية الباقية ، وحين عدت إلى المنزل ولم أجد زوجتى به ووجدت رسالة منها لى تفيد بأنها سوف تتأخر فى العمل قليلا ، قمت بطحن كمية الحبوب التى اشتريتها ووضعت مسحوقها فى زجاجة صغيرة ثم وضعتها بمكان خفى فى داخل غرفة المكتب الخاصة بى هى وأشياء أخرى ثمينة جدا وغالية ولا تقدر بمال وكذلك هذه الأوراق حيث اخترت لها مكانا يصعب اكتشافه بين عشرات الكتب والمجلدات التى تمتلىء بها غرفة مكتبى التى تجاور غرفة الصالون وتبتعد تماما عن باقى الغرف المطروقة فى المنزل وجلست بعد ذلك للقراءة والمطالعة وانتظار عودة زوجتى .

***

obeikandl.com

10 أبريل ملخص للأسبوع السابق :

مر أسبوعان على عملية الشراء كنت خلالها قد بدأت أعود نفسى على ألا أفكر فى هذا الموضوع كثيرا ،يكفى ما أخذته فى نقاشه بينى وبين نفسى، وأيضا ما دام إنه يسير فى طريقه المرسوم وخطواته المرتبة بقدرية محكمة فلا داع فى التفكير فيه أكثر من ذلك.

واليوم انتهزت فرصة غياب زوجتى عن المنزل لقيامها ببعض الزيارات الاجتماعية بالخطوة الثانية حيث طلبت إحدى المؤسسات الدينية واستفسرت عن رقم تليفون رجل الدين إياه الذى صادف بآرائه هوى فى نفسى وقلبى وثقة وإعجابا .

وتعمدت حين جاءنى صوت على الهاتف ، أن أغير صوتى قليلا ..

- السلام عليكم يافضيلة الأستاذ..
- وعليكم السلام..
- أريد فقط أن أسأل سيادتكم عن مغبة الإقدام على الانتحار وعقوبته الشرعية؟
- ولم يدعنى الرجل أكمل حديثى وقاطعنى فى حدة شديدة.
- استغفر الله يا بنى ألا تعلم أن هذا الأمر حرمته كافة الشرائع والأعراف السائدة بل والقوانين الوضعية وعقوبته النار باليقين فى الآخرة.
- وما الفرق ياسيدى الإمام بين نار الدنيا ونار الآخرة ؟
- من أى ناحية؟
- من ناحية الوهج والألم ..

obeikandl.com

- الفرق لا أستطيع أن أشرحه لك بالتحديد فى التليفون .. نحن قد عرفنا وخبرنا نار الدنيا أما نار الآخرة فإنها .. ولكن من أنت أيها السائل وما أسباب ذلك؟

- وهل لهذه أهمية فى تحديد الإجابة ياسيدى ؟..

- لا ، الإجابة لن تتغير ولكنى اعتبره حب استطلاع فقط..

- الأسباب قوية يا سيدى وكثيرة على الأقل من وجهة نظرى أنا ، وربما ستبدو تافهة فى نظر فضيلتك..

- هل تستطيع أن تحدثنى عن حياتك وهمومك يا أخى السائل؟!

لا شىء يعتبر سرا ، فأنا فى الأربعين من العمر وليس لى أشقاء أو شقيقات وكذلك ليس لى أولاد أو بنات – ووالدى ووالدتى سبقونى كرها وليس طوعا إلى الدار الآخرة وأعمل فى وظيفة محترمة وجيدة . أأكمل كلامى يا سيدى أم لا

- استمر يا صغيرى فأنا مصغ إليك..

- وعدا ذلك فإنى متزوج من ثلاثة عشر عاما تقريبا..

- ماذا

- نعم يا سيدى الشيخ فأنا متزوج منذ حوالى ثلاثة عشر عام تقريبا..

- ولماذا لم تقل لى هذا فى بداية الكلام..

- وما الفرق يا سيدى..

ربما كان الفرق سيصبح كبيرا وجوهريا وصمت الرجل برهة ثم أردف قائلا:

- أعتذر لك ، ليس لى رأي فى هذا الموضوع حيث إنه تنتظرنى تلال من المشاكل وكذلك الأمور التى...

- ولكن يا سيدى الشيخ إن وظيفتك وأمثالك ..

- ولم يدعنى الرجل أكمل حديثى وأغلق التليفون من جانبه فى وجهى ..

- وتركنى وأنا أكاد أنشق نصفين من الغيظ..

- هل أطلت عليه الحديث ؟

- كيف؟ وهو الذى كان يحاورنى ويسألنى ولست أنا..

- هل لم يصدقنى واعتقد أنى دسيسة عليه؟

هل . هل.؟؟ لا أدرى..

- ربما يكون الخط قد أغلق بالصدفة ..

أعدت طلبه مرة أخرى وحين سمع صوتى بادرنى قائلا:

- اعتذر عما بدر منى فقد وضعت السماعة خطأ وبدون قصد ، ولم أعرف كيف أتصل بك

- ولكنى أقول لك ليوفقك الله يا صغيرى..

- أأفعل أم لا أفعل يا سيدى الإمام؟

ولكن للأسف الشديد أغلق الهاتف مرة أخرى بنفس الطريقة السابقة وفكرت فى طلبه مرة أخرى إلا أننى فوجئت بزوجتى تقف أمامى وفى هدوء وأنا ما زالت يدى تقبض على سماعة التليفون وعلى لسانى باقى الأسئلة التى لم أتلق لها ردا من الشيخ..

وحين نظرت إلىّ السيدة بعينيها النافذتين وبنظراتها الكاسحة والمخترقة إلى أعماقى الشفافة علمت فى قرارة نفسى سبب غلق السماعة من جانب الشيخ الجليل..

ولم يدر بينى وبين زوجتى حديث يذكر ودخلت هى إلى غرفتها دون كلام مكتفية بتلك النظرة التى رمقتنى بها عند دخولها

أما أنا فقد خيل لى أن حشدا كبيرا من الناس قد تم ضبطى أمامهم وأنا متجردًا . من كافة ملابسى وهم ما فتأوا يحملقون شاخصين إلىّ ..

على العموم لن يطول هذا الأمر..

واستكملت أنا قراءاتى وكتاباتى قبل أن ألحق بها فى غرفة النوم

***

obeikandl.com

الأربعاء 13 **أبريل:**

أتذكر جيدا كافة الوقائع والتفصيلات والدقائق الخاصة التى مرت بى فى هذا اليوم الأربعاء 13 أبريل ، وذلك لما شاب وقائعها وشذوذها عن الألوف وخروجها عما يتقبله العقل ، ففى الصباح تراءى لى أن أتوجه إلى مكتبى سيرا على الأقدام وتجنب استخدام سيارة المصلحة ومن ثم فقد صرفت سائقها..

كنت أسير على مهل وأتنقل من رصيف إلى رصيف . ومن منعطف إلى آخر . وقد قمت بإعطاء ذهنى وأفكارى إجازة وعطلتهما من العمل ، تاركا أعينى تسبحان فى اللاشىء وتاركا أقدامى تقودنى إلى مكانين..

أولهما أن أمر أمام منزل حبيبى – مريم – مجرد المرور من أمام منزلها فقط، كي أسينشق بعضا من الهواء الذي تستنشقه هي أما المكان الثاني فكان بالطبع مقر عملي مصلحة التفتيش القضائى بوزارة العدل- وقد كان هناك متسعا من الوقت ، حيث كان الوقت ما زال مبكرا ، مما جعلنى أسير فى خطوات بطيئة ومتكاسلة بعض الشىء .. إلا إنه وعلى حين بغتة تجاوزنى أحد الأشخاص كان على ما يبدو قد قدم من خلفى مباشرة ثم وبعد أن تجاوزنى بخطوة أو ثلاث خطوات توقف فجأة واستدار فى مواجهتى معترضا مسارى وقدم لى بيده اليمنى ورقة بيضاء فى حجم مظاريف الخطابات.

للوهلة الأولى اعتقدت أنى أمام أحد المتسولين ويريد أن يريني بعض الأوراق مستشهدا بها كوسيلة للتسول – والتى تدل على مرضه واحتياجه لشراء

أدوية لعلاجه حيث إن هذه الوسيلة كانت شائعة فى هذه الأيام أو أن الرجل يبحث عن عنوان ما يريد منى أن أساعده فى الوصول إليه .

وبسبب مفاجأته لى على هذا النحو الفج ، فأنى تابعت سيرى لم أعره ردا..

إلا أن الرجل سار بجانبى وهو يحاول جاهدا أن يطابق خطواته بخطواتى .. وعلى حين غرة قام بإسقاط الورقة التى بيده فى جيبى وأسرع بخطواته مبتعدا عنى إلى الناحية الأخرى ، حيث الرصيف المقابل وكأنه لم يفعل شيئا. وتركنى أنظر إليه محتارا فى رد الفعل الذى يجب اتخاذه حيال صاحب هذا التصرف المقلق المفاجىء إلا إنه سرعان ما توقف الرجل على الرصيف المقابل وأخذ يصفق لى بيديه مرتان أو ثلاث كى يفهمنى أن يديه أصبحتا خاليتين وإنه لم يسرق من جيب جاكتتى شيئا .

كان المكان الذى وقف فيه قبالتى خاليا من كافة المارة ، مما أتاح لى أن أتفحص ملامحه وأيضا أن أطبع فى ذاكرتى صورته وملابسه التى كان يرتديها .

كان الرجل يرتدى بنطلونا فاتح اللون يميل إلى اللون الأبيض ويعلوه قميص لونه أبيض أيضا ذو أكام قصيرة لها حواف زرقاء وربطة عنق زرقاء غير مكتملة أما ملامحه فكانت كالآتى ، شعره أشيب بعض الشىء ويضع على عينيه نظارة ذات عدسات زرقاء أما الوجه فكان ممتلئا قليلا وشاربه تختلط فيه الشعيرات السوداء بأخرى بيضاء.

وسرعان ما اختفى بين ذهولى وعدم تصديقى ، بل وحيرتى الشديدة.

اختفى الرجل.. أو تبخر فى الهواء قبل أن استجمع شتات أفكارى وشذرات حواسى والتى كنت عطلتها عن العمل قبل هذه اللحظة.

وحين عادت إلى حواسى الشاردة نظرت فى كافة الاتجاهات .. ولكن دون جدوى فلم يكن ثمة واحد...

هل كنت واهما..؟

كيف؟؟

حين وضعت يدى وبحركة شبه غريزية فى جيب سترتى – أدركت أنى لم أكن واهما بأى حال من الأحوال . فقد اصطدمت يدى بتلك الورقة التى أسقطها هذا الوغد فى جيب سترتى.

أخرجتها.

كانت ورقة أشبه فى حجمها ببطاقات الدعاوى التى يقومون بتوزيعها فى مناسبات الأفراح ..

وكانت مطبقة بعناية شديدة إلى نصفين ، على الخلاف الخارجى للورقة كانت ترتسم صورة مرسومة بالقلم الجاف الأزرق لشخص تطابق أوصافه وملامحه وقسماته وملابسه أوصاف ذلك الرجل الذى قابلنى منذ برهة وأسقط هذه الورقة فى جيبى.

تتطابق إلى حد التوائم...

النظارة ذات العدسات الزرقاء .. الشعر الأشيب المتماوج على جانبى رأسه والقميص الأبيض الوجه الممتلىء . رابطة العنق الزرقاء الغير مكتملة وتلك الابتسامة الغامضة التى ارتسمت تحت شاربه ...

كان تماما ..هو ..بصورته .. وإن كنت قد أخذت أجهد ذهنى المكدود محاولا أن أتذكر متى رأيت هذا الرجل من قبل .. فقد خيل إلى أننى أعرفه وأن وجهه ليس جديدا على مخيلتي..

ولكن دون جدوى ..فلم اهتد لشىء ..

قلبت البطاقة على وجهها الآخر الداخلى وتصفحت ما كتب بها كان بها كتابة تبدوا متسلسة على هيئة أسئلة مرقمة من رقم 1 إلى رقم 4 وبطريقة تدل على ثقافة ودقة كاتبها وقد اشتملت الورقة أو البطاقة الصغيرة على الأسئلة التالية:

1) لماذا لا تقتلها هى – أقصد زوجتك- بدلا من تلك الأفكار الميتافيزيقية التى تراودك فى هذه المرحلة الحاسمة من عمرك
2) هل هناك شبه تردد من جانبك فى القبول لهذه الفكرة ، التى عرضتها عليك؟؟
3) فى حالة ترددك أو رفضك لهذه الفكرة ،أى أن تقتل زوجتك بدلا من أن تقتل نفسك فأنا أقترح عليك حلا وسطا ألا وهو إنه باستطاعتنا أنا وأنت التوفيق بين فكرتى أو اقتراحى – وفكرتك أنت ولكن فقط بالترتيب العكس أى أقتل زوجتك أولا ثم أقدم على الانتحار بعد ذلك ..
4) إذا راقت لك هذه الفكرة الوسط وأردت الاستفسار عن طريقة التنفيذ فيمكنك الاتصال بى- لو أردت – فى رقم 100146

وهنا للأسف انتهت الكتابة المدونة فى الورقة إلى هذا الحد .. ولا أعلم هل سهى عليه أن يسكمل رسالته واقتراحاته ، أم أن ظرفًا ما حال دون إتمام رسالته وعنوانه ؟؟

وأخذتنى دوامة شديدة من التفكير المرهق والحيرة الممضة جعلتنى أتوقف عن المسير وأستند إلى إحدى الأشجار قبل أن يعترينى ويسقطنى دوار شديد..

من هذا الرجل ؟؟

وكيف ظهر فجأة ..؟

وإلى أين اختفى ..؟

وأين سألقاه مرة أخرى ؟

وما عنوانه المبتور والذى لم يستكمله؟

ولكن السؤال المهم الذى كان يجب أن يقفز إلى ذهنى بإلحاح شديد هو كيف ؟

كيف عرف؟

ولماذا قام هذا الوغد باختيارى أنا بالذات؟!

إلا أن هذا السؤال الهام لم يشغل بالى كثيرا .

لا..لا..ان اقتراح هذا الحيوان مرفوض من كل النواحى .

أنا لا أقوى على قتل عصفور صغير.

فكيف سأواجه وأقتل نمرا مفترسا ؟!

لا..لا..لا

وألف لا

وحبيبتى هل ستوافق بأن تقرن نفسها بأحد القتلة ؟؟

لا..لا إن هذا الاقتراح لا يصدر إلا عن مجنون بلا شك أو على الأقل من شخص لا يعرف مدى قوة رد فعل زوجتى فى حالة فشلى فى قتلها ، ومؤكد أنى سوف أفشل – وهنا سوف يكون انتقامها خياليا بالطبع وسوف يفوق انتقام الوحوش المفترسة أو انتقام كونت دراكولا..

لا..

لا..

يقينا إن هذا الوغد إنما يدبر مؤامرة للانتقام منى !! ولكن لماذا؟ ما الذى فعلته له؟؟

نعم إنه مجنون بلا شك .. حتى ملامحه كانت تدل على الجنون والعته.

obeikandl.com

وأخرجت الورقة وأخذت أنظر إلى ملامح الرجل مرة أخرى كى أؤكد لنفسى جنونه المطبق ونظرت إلى صورته مرة ومرات عديدة ..

وهالنى أن أرى هذا الرجل يبتسم لى ابتسامة يشوبها الازدراء ويرمقنى من خلف نظارته من أعلى إلى أسفل ومن أسفل إلى أعلى .

أطبقت يدى على صورته فى حركة هستيرية وكأنى أطبق على رقبته ، ذلك الوغد ومزقت الورقة إلى قطع صغيرة وحين تأكدت إنه لا يوجد أحد حولى قمت بإلقاء القطع الممزقة ونثرتها فى الطريق .. إلا إنه وبفعل حركة الهواء ودينا مبكية حركة دورانها ، أخذت تلك الأوراق الممزقة الصغيرة تتكور على نفسها فى مساحة صغيرة جدا ويقترب بعضها من بعض بصورة شاذة ومقلقة .

استوقفت تاكسيا وألقيت بنفسى فيه وطلبت من سائقه التوجه إلى مقر عملى ، فلم أجد فى نفسى قوة تسنطيع أن تحملنى إلى المكتب بغير وسيلة نقل..

وتمتمت بصوت عال ..

نعم.. إنه مجنون بغير شك..

يا سعادة البيه كل السائقين فى فترة الصباح بيكونوا فى حالة سرعة وهياج وجنون..

قالها السائق وهو يحاول تفادى سيارة أمامه كادت أن تصطدم به وردا على ملاحظتى ووصلت مكتبى وأنا مضعضع الحواس تقريبا ، وحين استقبلنى الحاجب الخاص بمكتبى على أول السلالم طلبت منه الإسراع وإحضار فنجان من القهوة قبل أن أصل إلى المعقد وأجلس عليه.

واتصلت بحبيبتى قبل أن أبدأ يومى الوظيفى..

-صباح الخير..

انساب صوتها رقيقا من خلال التليفون قبل أن تعرف إنه أنا

-صباح الخير واستطردت..

- أتأخرت..

- لا. ليس كثيرا..

- النهاردة لازم نتقابل..

- لماذا؟

- كنت أتكلم وعقلى شارد بعض الشىء..

- ما الذى تعنيه بهذا السؤال – النهاردة عيد ميلادك وأنا اشتريت لك هدية بسيطة ..

- آه- آه على العموم ها تصل تانى ونتفاهم على باقى التفاصيل..

- صوتك غير طبيعى .. فيه حاجة غير طبيعية ..

- لا.لا شىء .. قليل من الإرهاق ..إرهاق فقط ليس إلا ..

- طيب مع السلامة..

- على العموم لا داعى لموعد اليوم ..أو تؤجله لباكر حسب الظروف..

- يبقى كلامى صحيح ..فيه شىء غير طبيعى فى صوتك

- لا..لا يوجد شىء إرهاق .. إرهاق من العمل ، اليوم شغل كثير ..

- هل بدأ اليوم حتى يكون مرهقا ؟؟

- على العموم فى رعاية الله مؤقتا..

واحتسيت فنجان القوة وأعقبته بتدخين أكثر من سيجارة وطلبت من الحاجب غلق الباب. ولا يدخل إلا إذا استدعيته .

هل يحق لى أو لأية مخلوق أن يعكر صفو تلك الوردة الصغيرة بتلك الأفكار الرهيبة التى كانت تعتمل فى داخلى ؟؟

..لا..لا... لا يصح هذا..

ومكثت ما يقرب من الساعة على هذا الحال ، أدخن سيجارة تلو الأخرى حتى أحسست أن هواء الغرفة أصبح من القتامة بحيث حجب رؤية الأشياء أمامى ومن حولى ومن ثم قد استجمعت باقى قواى المنهاره وغادرت المكتب إلى منزلى وطلبت من الحاجب أن يسوقف لى سيارة أجرة تقلنى إلى المنزل لشعورى بوعكة خفيفة وحين نظر إلى متسائلا!

لا.. لا داعى لسيارة المصلحة ..لا يوجد شىء ذو بال..

وفى المنزل كان التوتر واضحا على تصرفاتى باقى ساعات اليوم وحين استجمعت أطراف شجاعتى بصعوبة بالغة وقصصت على زوجتى – أثناء تناولنا الغذاء ما كان من أمر هذا الرجل العجيب أو الشبح الغريب الذى وبالطبع تعمدت أن أقول لها إن هذه الواقعة حدثت لأحد معارفى فى العمل وإنه حكى لنا عنها اليوم وكذلك صرحت لها بأنى أنا نفسى غير مقتنع بهذه الأقصوصة الغريبة التى حدثت لصاحبى.

ما أوصاف ذلك الرجل الذى تقابل مع صاحبك ..

– إنه وصفه لنا وصفا يقترب من صورة الرجل الذى يتخذونه شعارا لإحدى محلات وجبات الدجاج الأمريكية الجاهزة (K.F. C) والمنتشرة فى مدينتنا ، بل إنه قال إن صورة الرجل تشبه نفس قسماته إلى حد التطابق ..

– وهل تفرس فى وجهه إلى هذا الحد؟..

سألتنى السيدة وهى تحاول تقطيع قطعة من اللحم البارد فى الطبق الموضوع أمامها ..

لا أدرى .. إنى أحكى ما قاله لنا بالحرف الواحد.

وحين طلبت منها تفسيرا لهذا الحادث العجيب الذى وقع مع صديقى توقفت فجأة عن مضغ الطعام ورمقتنى بنظرة أحسست أنها اخترقت بها رأسى واصطدمت بالحائط من خلفى وقالت فى نبرة باردة :

- ما الذى تريدنى أن أفسره فى هذه الحكاية الناقصة ؟!..

- إن الأمر واضح وضوح الشمس

واستكملنا سويا أنا وهى تناول الغذاء فى نهم..

وطلبت منها بعد الانتهاء من رفع الطعام من على المائدة أن تعد لى فنجانا من القهوة حيث سأقوم بالاطلاع قليلا فى غرفة المكتب وقراءة بعض الكتب..

***

obeikandl.com

16 **أبـــريـــل:**

تحاشيت فى الأيام الأخيرة أن أتقابل أو أتحدث كثيرا مع مريم ، لأنها كانت ستطلب منى تفسيرا لما حدث ، وخصوصا عن سبب إلغاء المقابلة الخاصة بعيد ميلادى وتعللت لها فى مكالمة قصيرة ومقتضبة بأن هناك بعض المشاغل والمشاكل فى العمل .. وهى لم تكن لحوحة إلى الدرجة التى قد تثير ضيق أو ملل الرجل.. قالت فى رفق وقد داخلها إحساس بأنى أعانى من شىء ما .

– طيب كل ما أرجوه وعد منك أنك تحكى لى بالتفصيل عن كل شىء فيما بعد..

فيما بعد ..أجل فيما بعد

واسترحت أنا وهى إلى هذه النتيجة التى وصلنا إليها سويا .. فأنا لم أشأ أن أصارحها بما حدث وأوجد فى داخلها خوفا أو تهديدا خفيا ، وهى لم ترد أن تجعلنى فى موقف أضطر فيه إلى أن أكذب عليها وأن أحكى لها شيئا غير حقيقى

وهذا هو الحب..

الحب أن يكون كل طرف على استعداد أن يتفانى فى إسعاد الطرف الآخر حتى ولو كان بإيلامه

أو لم يقل الشاعر:

أنا من أهـــــــوى ومـــن أهـــوى أنـــا
نحـــــن روحـــان حـــلتـا بدنـــــــا
فإذا أبصرته أبصرتنى وإذ أبصرتنـــى أبصرتنا

***

19 **أبـــريـــــل:**

جرس يقطن فى الطرف الشرقى من المدينة ، وتفصل بين مسكنى ومسكنه مساحة زمنية تقدر بحوالى عشرون دقيقة بالسيارة متوسطة السرعة فى يوم مزدحم بوسائل المواصلات ومثقل باحمرار إشارات المرور..

وفى هذه المرحلة الدقيقة من حياتى قررت الذهاب إليه ومقابلته ..

كنت أنا وجرس متقاربين فى العمر تقريبا وكان هويشغل وظيفة وإن كانت ذات أهمية إلا أنها لم تكن فى حجم وأهمية وخطورة وظيفتى ..

كان جرس متزوجا من سيدة تصغره بحوالى ثلاثة أعوام وله منها ولد وبنت... اعتقدت أنا لفترة طويلة من الزمن ومن خلال ترددى الكثير على هذه الأسرة الصغيرة أن هذه الأسرة تعيش في جو ترفرف عليه أجنحة السعادة من كل جوانبه ويحيط به الحب والتفانى وكذلك يسوده الهناء والسرور . ولقد امتدت صداقتى لهذه الأسرة سنوات كثيرة لم أر ما يعكر صفو هذه الأسرة بأى حال من الأحوال . فالزوجة متفانية فى حب زوجها وجرس لا يألو جهدا فى تلبية رغباتها وطلباتها كذلك احتياجات ابنه وابنته . لذا كان من عوامل دهشتى الشديدة واستغرابي بل وعدم تصديقى أنى عرفت – ومنذ مدة أيضا أن جرس هذا يعيش قصة وظروف مماثلة مع ظروفى مع بعض الاختلافات البسيطة والغير جوهرية بين

حالته وحالتى من الناحية الاجتماعية ، فإن جرسًا كان له ولد وبنت من زوجته أما أنا فلم أعقب من زوجتى لا ولدا ولا بنتا – ولم يكن هذا الأمر يعكر صفو حياتى كثيرا. كانت له نفس الحالة التى أعيشها

- له زوجة .. وله عشيقة مع الفارق بين كلمة عشيقة وكلمة زوجة ثانية ..
- له زوجة جميلة .. وبالطبع عشيقة أجمل بالرغم من أن اسمها كان شكرية.
- كانت زوجة جرس رقيقة ولكن شكرية كانت أرق..
- وبالطبع علمت أنا بكافة الخطوات والخطرات واللقاءات والمشاكل ، بل وكافة سبل حياته سواء أكانت مبهجة أم منغصة بين الأطراف الأربعة – الزوج أى جرس وزوجته والعشيقة أى شكرية وزوجها ، الذى حدثنى عنه جرس ذات مرة فقال فى وصفه عبارة موجزة شديدة الإيجاز ولكن حملت معاني كثيرة .

قال جرس ذات مرة على الرجل إنه شديد الغيرة على زوجته وسريع الانفعال لدرجة الافتراس

وطالما كان الزوج لا يعلم شيئا عن علاقة جرس بشكرية .

وطالما أنا أرى جرسًا حيا وسليما ومعافى بصفة منتظمة فإنى لم أتناقش معه مطلقا فى إلى أى مدى تعنى كلمة الافتراس من معان.. ولكنى دائما ما كنت أتساءل معه..

لماذا اختار له القدر هذه السيدة بالذات ذات الزوج المفترس ليقع جرس فى هواها دون غيرها

ولكننا لم نكن بالطبع نصل إلى رد شاف على هذا السؤال البديهى الإجابة..

وربما إن اسمه"جرس" والذى لم أجد له معنى ، هو الذى أوقعه فيما هوفيه ، أقول ربما ..

كنت ألوك كل هذه الخواطر فى ذهنى وأنا فى طريقى إلى منزل جرس ، ذات مساء وذلك لتنفيذ الخطوة الثانية من خطتى .. وحين فاجأته ببوادر حكايتى وأننى غارق فى الحب منذ خمسة أعوام أو يزيد ولا أذكر بالضبط الزمن الذى قلته له . وأن ما أعيشه هو قصة حب من النوع الرائع (وبالطبع أخفيت عنه جوانب كثيرة من حكايتى)

وللأسف فإن جرس لم يبد أيه اهتمام أو تعاطف أو انفعال أو نقاش معى بأى شكل ولم ينطق إلا بكلمة واحدة:

- أنـــــت؟؟
- نعم أنا..
- سألنى مرة أخرى بعد فترة صمت دامت بعض الشىء ..
- أنـــت ؟؟
- نعم أنا..أنا..
- ثم فتح فمه مرة أخرى وتوقعت منه أن يسألنى السؤال المنطقى المترتب على ما سمعه منى ،

توقعت أن يسألنى من هى؟ حبيبتى؟ من تكون ؟ ولكنه للأسف سألنى مرة أخرى:

- أنت؟

ولم أرد عليه بأيه كلمة..

- وسادت بيننا فترة صمت ، لم يكن وجهه ينم عن أى شىء أما أنا فكنت كمن ألقى عن كاهله عبئًا كان يثقله..

ونظر جرس إلى الساعة المثبتة على الجدار وكانت تشير إلى الحادية عشر مساء ثم وقف فجأة وأمسك بيدى وسحبنى إلى حيث باب الخروج من الشقة ومن ثم فقد فتح الباب وسلم عليّ مصافحا كى يفهمنى بانتهاء الزيارة قائلا:

- نتقابل غدا؟ ...

- حسب الظروف ..

وخرجت من منزله وأنا أقول لنفسى هذا من جراء تسميته بهذا الاسم الغريب

وفى الطريق أوقفت سيارتى وعرجت على إحدى المحال العمومية واتصلت بحبيبتى تليفونيا وتناولنا أنا وهى بعض من الكلمات العادية والغير عادية.. قالت أن هدية عيد ميلادى موجودة لديها .. وأننا لم نتفق حتى الآن على موعد كى نتقابل فيه وسألتنى :

- أنت بتهرب من لقائى ؟

- أنت دائما معى فكيف أهرب منك..

- هل لديك فكرة عن هديتى لك هذا العام؟

- أعرف أنها أرق وأجمل هدية فى الوجود .

- يعنى لن تكون مفاجأة لك..

- أى شىء منك سوف يكون مفاجأة مفرحة لى..

وودعتها وأنا لا أستطيع أن أخفى مشاعر الفرح والهناء الصافى فى صوتى ، وهى حالة من الوجد تنتابنى دائما كلما ألقاها أو تحادثت معها بالإضافة إلى عدة تغيرات نفسية وفسيولوجية أخرى..

وحين سألت صاحبة المحل عن قيمة الأجرة والتى كنت أعلم أنها لن تزيد عن الجنيه الواحد حدقت فى عينى طويلا وقالت :

- خمس جنيهات..

وأخرجت لها الجنيهات الخمسة بدون تفكير وأعطيتها لها .. إلا أنها أعادتها بالكامل لى ولم تأخذ شيئا منى قائلة :

يا سيدى إن لحظات السعادة من الصعب تقييمها بالنقود.

ولم تكن السيدة فقط هى التى قالت هذه الجملة بل أننى أحسست أن كافة من خلقه الله حولى يرددون هذه العبارة بل ويعيشون فيها وينهلون مما أنهل منه فى هذه اللحظة..

لقد خلا الكون من كل شىء ولم يتبق به إلا مشاعر الحب والصفاء فى قلبينا..

نعم مشاعر الحب فقط ..

وسرت وأنا أردد وبصوت مسموع لأحد المقاطع من أغنية رقيقة حالمة كانت تقول كلماتها :

اللى حبك ياهناه ..

فى نعيمه .. وفى شقاه ..

اللى حبك ياهناه ..

نعم اللى حبك يامريم يا هناه ..

فى نعيمه وفى شقاه

***

obeikandl.com

20 **أبـــريـــل :**

صباح اليوم ومبكرا حين خرجت من باب منزلى فى طريقى لسيارة المصلحة كى تقلنى إلى المكتب فوجئت بصديقى العزيز جرس يقف أمامى مباشرة ويحول بينى وبين ركوب السيارة وأخذ بيدى مصافحا وفى حرارة . وكأنما مرت أعوام لم نلتق أنا وهوخلالها ، كان جرس يرتدى على غير عادته ، قميصا أبيض اللون وربطة عنق غير مكتملة يميل لونها إلى اللون الأزرق قليلا وبنطلونا أبيض مع تهدل بعض خصائل شعره الرمادية اللون على جانب وجهه أحسست حين رأيته أنه إنما يذكرنى بشىء ما أو شخص ما عرفته أو التقيت به من قبل..

وأخذ جرس يصافحنى وهو يتعمد أن يبعدنى عن باب سيارتى ما أمكنه ذلك وأيضا عن مسامع السائق وأخذ ينظر إلى فاحصا ومتفرسا فى وجهى وكافة ملامحى ،ومثلما أخذنى من يدى مساء أمس وقادنى إلى باب الخروج من شقته ، أخذنى فى هذه اللحظة من يدى وقادنى إلى باب سيارته هو ، والتى كانت تقف بالقرب من سيارة المصلحة ثم فتح باب سيارته وأجلسنى فى المقعد الأمامى وأسرع هو بالدخول من الباب الآخر للسيارة .

أحسست بنوع من القلق من جراء هذه الزيارة المبكرة والمفاجئة ، وكذلك من طريقته وسألنى :

- أخبارك أيه؟
- من أيه ناحية؟
- أخبارك؟ صحتك؟ تفكيرك؟ حياتك؟
- أخبارك أيه ؟ سؤالى واضح..

تجاهلت سؤاله قائلا:

- ما الذى أتى بك على هذا النحو؟!

– أولا أنا فى انتظارك اسفل المنزل من الساعة 8 يعنى من حوالى ساعة ونصف وأنا أجلس فى انتظارك حتى وهنت أعصابى من وطأة الانتظار .. واستطرد:

– أنا كنت ها أنزل خلفك مباشرة لما خرجت لولا أنى خشيت أن زوجتى تعتقد ان نزولى من المنزل سوف يكون لمقابلة شكرية ..لكن

– أنا على العموم بخير..

– بخير ؟ بخير ، وال...

– أيوه بخير

– إلا أنه عاد مرة أخرى يسألنى ذلك السؤال الغبى والمكون من كلمة واحدة أنت؟ انت؟

– أيوه ..أنا ..ما الغريب فى ذلك الأمر ، هل الحب حكرعليك انت وشكرية؟

– آه ..إذا كنا وصلنا إلى هذه النقطة فاصرف سائقك وخذ أجازة اليوم من عملك..

– وأشرت للسائق أن يتجه إلى مقر العمل ولا ينتظرنى وحين رأيت فى عينيه ملامح مرتابة

– ابتسمت له ابتسامة أسكنت خوفه ومضى إلى حال سبيله..

– الحب ليس حكرا على أحد بالطبع ..ولكن ....

– ولكن ماذا؟ أنت ..؟ انت؟

– أقسم أنك لوكررت هذا السؤال الغبى مرة أخرى فسوف أغادر...

لا..لا..لا داعى ..ولكن كيف لم أعلم أنا بهذا الموضوع ؟ وكيف أخفيته عنى ؟

يا استاذ جرس ما تكاد نعبر عن المشاعر الجميلة التي بداخلنا حتى نفقد روعتها وجمالها .

وهنا أخرج جرس ورقة وقلما وقدمهما لى قائلا:

اكتب لي هذه العبارة الحالمة التى قلتها لى الآن والتى لم أسمعها من أحد من قبلك ثم قال:

- أنا حضرت إليك كى نتحدث فى الظروف والمستجدات التى تواجه المحبين أمثالى وأمثالك فما رأيك فى مكان هادىء نجلس فيه

- أو مأت له برأسى علامة الموافقة وقاد سيارته إلى منطقة هادئة تطل على نيل القاهرة والتى تنساب مياهه فى رفق وهدوء ولم تكن أمواجه الوسنانه قد نفضت عن نفسها سنة الكرى بعد.

وانتحينا أنا وهو مكانا قصيا وجلسنا متقابلين على سور حاجز الأمواج..

كيف؟ ومتى ؟ ولماذا؟ ومن هى ؟ وما موقف باقى الأطراف وهل تدخلت قوات حفظ السلام الدولية أم لا حتى الان ..كل شيء احكِ لى عنه..

اجبته من خلال سحابة دخان أطلقتها من سيجارة كانت على شفتى ..

أولاً ؟ لماذا ؟ فأنت آخر من يسأل عن السبب ، هل سألت نفسك من قبل كيف وقعت فى حب شكرية ولماذا؟

قاطعني بلهجة حاول أن يجعلها شبه آمره وهو يتلفت يمينه ويساره فى خوف:

لا داعى لذكر الأسماء .. لا داعى..

وأما كيف؟ فهذا كان صدفة مرتبة رتبت من القدر ترتيبا وتدبيرا محكما مما جعل من هذا الحب أمرا وقدرا محتوما لا فكاك منه حتى ولو أردت أنا وأى مخلوق آخر..

أما متى؟ فمنذ خمسة أعوام كنت في صالة المطار وراجع من..

- خمسة أعوام؟

- نعم . نعم خمسة أعوام وربما أكثر قليلاً ولكن بالطبع التواريخ مسجلة لدى خاطرة بخاطرة ولحظة بلحظة خمسة أعوام وأنا أعيش هذه القصة الرائعة والحلم الممتع .. طبعا كانت هناك لحظات إفاقة تخللت هذا الحلم الجميل ولكنى كنت أعود بعدها إلى جنتى الموعودة وإلى الآن لا أعرف أين الحد الفاصل بين الحلم والحقيقة هل الحقيقة ما أعيشه أنا وزوجتى والحلم ما أحياه مع مريم ؟ أم العكس هو الصحيح وهو أن ما أحياه مع مريم هى الحقيقة والحلم أو الكابوس هو ما أعايشه من زوجتى ..

- يعنى اسمها مريم

- يعنى اسمها مريم هل تريد باقى الاسم : على الأقل اسمها أرق من اسم شكرية ..

لا..لا..لا لزوم لذلك

استطردت....

أما أين تسكن فهى تقيم فى حى المنيرة . أم أين نتقابل فهذا ليس أوانه .. أما شكلها فإنى أسألك هل شعورنا هو الذى يضفى على الشىء جمالا أم ان جمال الأنثى هو الذى يلهج مشاعرنا؟ هل مشاعرنا للمرأة هى التى تضع حول وجهها تلك الهالة من السحر والجمال والتقديس ؟ أم أن جمال الأنثى هو الذى يقيد ويصفد أفكارنا ونظراتنا لها، فيجعل الرجل مأخوذًا بها؟ فنراها أجمل ما فى الوجود ولكن على العموم فإنها ليست بحاجة إلى مشاعرى كى أضع حول وجهها هالة من الجمال فهى جميلة ، جميلة ذلك الجمال الساحر الهادىء الذى يأسر القلب فى هدوء إلا إن جمالها رغم هدوئه له عنفوانه وسحره رغم خفائه وغموضه فإن له طغيانه ..

على العموم هى أحلى وأرق وأجمل وأبهى من أى وردة تقع عيناك عليها فى هذه الدنيا ..

لا.. لا ..لا تبال ..

أنا لا أبالغ يا جرس لكنى أقول لك إني أعتقد أن الله قد خلقها كى يرى البشر طلاقة قدرته فى بديع صنعه ولو قيض لك يوما أن تراها وترى وجهها الجميل.

-ماذا تعنى فى أنه لو قيض لى أن أرى وجهها ؟ هل هى سيدة مقنعة أم .

-لا أقصد ذلك أما سؤالك المضحك عن قوات حفظ السلام .. وهل تدخلت أم لا حتى الآن قصدك باقى الاطراف ، فإنه بالنسبة لزوجتى فهى لا تعلم عن هذا الموضوع شيئا حتى الآن.. ولم ولن يخطر ببالها فى يوم من الأيام هذا الموضوع لشدة حرصى وحذرى بل وخوفى من قيام حرب ضروس لن يجنى ثمارها إلا هى فقط ..وسأكون أنا ومريم أول ضحاياها وربما أنت أيضا .. ولذا فإن قوات حفظ السلام لم تتدخل حتى الآن

سكت جرس برهة .. ثم قال بعد أخذه نفسا عميقا من السيجارة:

- ومن أين لك هذا التأكيد إن زوجتك لم تعلم حتى الآن ؟

- الدليل أمامك يا أخى مجسدا .. أنا مازلت أمامك حتى الأن ياجرس وكذلك أنت ومريم وباقى الأطراف ؟ تساءل جرس..

- لا توجد أطراف أخرى لها صلة بهذا الموضوع ..

- وماذا تريد منى على وجه التحديد ؟ هل المشورة وتقديم الخبرة أم المساعدة ؟ هل تريد أن أهيىء لك مكانا كى...

- يا جرس لا هذا ولا ذاك أنا أعيش هذا الواقع منذ أكثر من خمسة أعوام ولم أحتاجك فى شىء من هذا القبيل

- إذن ..

– أنا أردت فقط أن أفضى إلى صديقى الوحيد ما يشغلنى وخصوصا أننا متشابهان فى ظروفنا سويا وأيضا لأنى عزمت على اتخاذ قرار لم ولن يعرفه أحد سواك ألا وهو أنى قررت الهروب من هذه المشكلة المزمنة والخروج من الحياة جميعها ، فأنا قد عزمت على الانتحار وقد نطقت أنا بالعبارات الأخيرة بطريقة حاولت أن تكون بلهجة مسرحية تماما حتى لا يكون هناك تأكيد لهذا القرار أو نفي له ويبقى جرس فى مرحلة الشك فقط..

– ومنذ متى وأنت على هذه الحالة – قاطعنى وكأنما لم يستوعب عباراتى السأبقة بعد أو كأنه لم يصدقها ويأخذها مأخذ الجد بسبب طريقتى فى إلقائها ..

– لقد قلت لك منذ أكثر من خمس سنوات بالضبط أو على وجه التقريب

– خمس سنوات !! حقا إن ظروفنا متماثلة !! ده إحنا دفعة واحدة.

واستطرد :

كل هذه الأعوام وأنا لا أعلم بهذا الموضوع القومى الخطير وأيضا ولا زوجتك ..

حتى الآن لا احد على الإطلاق ..

وما الذى ستجنيه من انتحارك المزعوم الذى تحدثت عنه

ربما الهروب ؟ إن قصص الحب البشرى التى يخلدها الزمن إنما دائما تكون ذات نهاية مفجعة ودرامية ، ألم تقرأ مأساة مايرلنج وقصة روميو وجوليت وقيس وليلى ، هكذا ستكون قصتى أنا ومريم ، وربما أريد أن أجعل زوجتى تشقى بعض الشىء وتتألم قليلا وهى ترانى قد غادرت الحياة فجأة وبدون سبب إلى حياة أوسع

وأرحب ، إذا لم تعلم الحقيقة فسوف تحزن ، وهذا ما أريده وإذا علمت فسوف تتألم وهذا ما أبغيه وإن كان غير مقصودا بالدرجة الأولى أو الثانية أو الثالثة.

- كان جرس يستمع إلى ناظرا فى بلادة إلى أقداح القهوة الفارغة التى فرغنا من احتسائها وقال دون أن يرفع نظره من فوق صينية القهوة :
- وكيف لم أفكر أنا أو آلاف المحبين فى مثل هذه الآفكار الغريبة التى تتحدث عنها بتلك اللذة وهذا الشغف؟ ...

ربما الخطأ منكم أنتم وليس منى أنا..

- أخلد جرس إلى التفكير لبرهة – طالت قليلا لدرجة أنى أحسست إنما قد يكون قد استحسن الفكرة وأنه ربما قد يقوم بتنفيذها على نفسه ، مما جعلتى أحجم على الإفصاح له عن الوسيلة التى قررت بها أن أنفذها على نفسى خشية إتباعها ويصبح الأمر مشاعا وشعبيا وهذا مالا أريده..
- قال أخيرا وبنبرات اتسمت بالهدوء والجدية :
- ولكن لا لزوم لهذا كله .. هناك أكثر من حل ، لست فريدا فى هذه المشكلة هذا إذا كانت هناك مشكلة أصلا فى هذا الموضوع ، من الممكن أن تتزوج أنت الثانية وتضح زوجتك أمام ما خطه لها القدر ، ولكن هذا قد يودى بحياتك لا محالة .. ومن الممكن أن تحاول أنت نسيان قصة غرامك هذه ، ولكن مما أراه من حالة الشوق والحب والوجد الذى يتملكك ، أقول إن هذا الباب – باب النسيان – ربما يودى بحياتك أيضا وكذلك عمرك ومن الممكن أيضا أن تقوم أنت – ولكن هذا خاطر بعيد – من الممكن أن تقوم أنت بقتل زوجتك حتى يخلو لك الطريق وتقوم بعد..
- محال!! كيف تفكر فى هذا ..قاطعته محذرا
- دعنى أكمل كلامى ، وفى الحالة الأخيرة إذا فشلت فى قتلها ، سوف تدفع حياتك ثمنا لهذه المحاولة الفاشلة ، والتى من المؤكد فشلها

بالطبع .وأما إذا نجحت فى قتلها – وهذا ما أشك فيه – فسوف يتم إعدامك شنقا طبقا لقوانيننا السائدة والظالمة ، أى إنك وفى كافة الأحوال سوف تدفع حياتك ثمنا على مذبح الحب والغرام. لذا فإننى أصارحك القول وأقول لك إنى أفضل أنك تقوم باتباع الحل الأخير ، وإن كان أكثرهم تشاؤما ، أى أن تبدأ بقتل زوجتك ثم .....

– سالته مقاطعا ، وقد تذكرت شخصا كنت أحاول منذ أن التقيت بجرس أحاول أن أتذكر أين رأيته..

– اسمع : هل لك علاقة بمحلات بيع الدجاج المشهورة كنتاكى المنتشرة فى المدينة ..

– ما هذا السؤال الخارج عن الموضوع ؟ كلا بالطبع..

وران صمت على المكان كله وهدوء شابه التشاؤم .. وبدا أن هناك خاطرا ما، كان يلح على ذهن صديقى ، إلا أنه أخذ فى محاولة إبعاده عن فكره أكثر من مرة ، حيث وضح ذلك فى هزة لرأسه دلالة على الرفض . ثم قال أخيرًا..

– هل تعلم من الذى سوف يربح فى هذه المعركة ومن الذى سوف يخسر..

– أنا لا أنوى القيام بعمل تجارى حتى أحسب ما..

– أتعلم أنه فى الغالب الأعم ستكون كل الأمور سوف تصب لصالح زوجتك فى النهاية

فنظرت إليه متسائلا واستطرد هو:

– أولا زوجتك لم تكمل عامها الاربعين بعد – حسب معلوماتى وبعد وفاتك المزعومة بحوالى أربعة أشهر على الأكثر، ستتزوج غيرك ، هذا من ناحية وثانيا سوف تكون زوجتك برحيلك قد تخلصت من خطر كان يهددها ، وإن كان هذا الخطر خافيا عليها حتى الآن ، إلا وهو وجود مريم فى حياتك ، ولكن هذا الخطر كان سيظهر لها فى أى مرحلة من المراحل ولو بعد حين كذلك فهى الوارث الوحيد والطبيعى فى حياتك

ومن ثم سوف تؤول إليها كافة أموالك وممتلكاتك وكذلك العشرون فدانا التى سبق واشتريتها أمامى منذ حوالى خمسة أشهر ومسجلة باسمك عقاريا ، وأخيرا ومن الناحية الدرامية سوف تكون زوجتك أمام المجتمع هى البطلة أو الشهيدة فى كل الأحوال ، الزوج مات أو انتحر بدون أسباب ، إذن فسوف تكسب تعاطف المجتمع وأيضا الطامعين فيها، أو أن الزوج انتحر بسبب أنها اكتشفت علاقته العاطفية ، وهنا فسوف تحوز وتنال المواساة والإشفاق من الكافة وسوف تكافأ هى فى كل الاحوال برحيلك على أى وجه من الوجوه.. ومن المؤكد أنك لم تكن تعمل أنت على أن تكون النتيجة تنتهى إلى هذا النحو..هل أنت مصغ أم ..؟

- استمر ولكن فقط لا تطل في الشرح..
- أريد أن أقول إنك يجب أن تجعلها هي التي تقاسي برحيلك لا أن تأخذ مكافأة لنفسها..

ماذا تقصد

أنا أقترح – مادام أن الود بينكما لم يكن سمة من سمات حياتكما طول فترة زواجكما –

أقترح أنك تجعل انتحارك يبدوا وتماما فى صورة جريمة قتل .. الزوجة علمت بوجود سيدة أخرى فى حياة زوجها ، فتصرفت التصرف الطبيعى فى مثل هذه الأمور وانتقاما لكبريائها، قتلته بل وسوف تشرع في قتل السيدة الأخرى ، والنتيجة سوف تكون مغايرة بالكامل لما كان عليه تخطيطك أنت تموت ، وتدخل الجنة أو النار حسب المكان المتاح وهي تحاكم على ذلك القتل وتفقد كل شيء الزوج والإرث وكذلك تخسر تعاطف الناس معها – وفي الحالتين سوف يذهب كلاكما الي

عالم آخر فسيح ورحب غير العا لم الذي نعرفه ونحياه أما السيدة مريم سوف يختفي أي تهديد لها من أي نوع – فقط مرارة الأحزان وهذا أمر لا مفر منه..

(لم يكن جرس قد عرف أني قد قررت أن أعترف لزوجتى بكل التفاصيل عن مريم و قبل وفاتي بلحظات قليلة)

راقتني أفكار جرس بعض الشيء – نعم يجب أن يقوم أحد بدفع الثمن ، ثمن فشلي بأن نجتمع أنا و مريم في هذه الدنيا ..

نعم يجب أن يعاني الجميع

و لسبب ما زلت أجهله فإني ما زلت أؤكد لنفسي ، أن الرجل الغريب الذي قابلني صباح يوم13 أبريل وأعطاني تلك الورقة الصغيرة ، والذي كان يشبه في صورته وملامحه صورة وملامح رجل الدعاية لمحلات بيع الدجاج الأمريكية هو – هو جرس صديقي !!! ولكن كيف؟

ولكني لم أشأ أن أشغل بالي بهذا التصادف أو التوافق الفريد .. يكفي ما في ذهني من أمواج متلاطمة .. فلا داعي لزيادتها تلاطما ..

وحين وقفت نظرت الي منفضة السجائر التي تراكمت بها بقايا رماد سجائري وسجائره كذلك أقداح القهوة الفارغة التي احتسيناها أنا وهو ايقنت في نفسي أن التدخين وشرب هذه الكمية الكبيرة لم يذهب هباء فقد أضاف جرس بأفكاره النيرة بعدا جديدا لقصتى الخاصة ..

وهكذا يكون الصديق .

وغادرنا المكان بسيارته الصغيرة .. ولكن لسبب ما.. لم يفصح لى عنه قام بانزالى قبل وصولنا إلى منزلى بحوالى خمسون مترا تقريبا ثم غادر أدراجه إلى منزله.

***

23 **أبـــريـــل:**

لم أستطع الخروج من المنزل طوال اليوم ، وقد انتابنى مشاعر وأفكار كثيرة سواء طوال الليل أو طيلة ساعات النهار . وبالرغم من وجود زوجتى فى المنزل فإنى اختلست أوقاتا كثيرة استطعت فيها أن أتحدث إلى مريم تليفونيا أكثر من مرة وعلى أوقات متفاوتة ولقد كانت زوجتى رحيمة بنا حيث إنها أخلدت إلى النوم ظهرا وتركت لنا الحبل على الغارب كى أستخدم التليفون ولفترة استمرت ساعات ، إذن فهى لا تشك فى تصرفاتى حتى هذه اللحظة ولم يداخلها إلى الآن أى شك فى مدى إخلاصى واستقامتى

واستيقظت أخيرا الساعة 8 مساء وبادرتنى بقولها

- أنت خارج باقى اليوم ؟؟
- لا اليوم انتهى طبيعى لم يعد فيه شىء..
- كنت متوقعة على أى حال ردك بهذه العبارة ..
- ثم استطردت متساءلة..
- عاوزانى أخرج الليلة ؟ أم أبق فى المنزل معك أشاركك مطالعاتك..
- الأمر متروك لك وأنا من ناحيتى أفضل بقاءك فى المنزل..
- أنا كنت متوقعة هذا الرد فلا يوجد سبب يجعلنى أخرج لا لك ولا لى ..
- نعم لا فائدة من خروجها فقد تكلمنا أنا ومريم ، وأخذنا كفايتنا هذا اليوم ولقد قالت إنها سوف تأوى إلى النوم مبكرة هذه الليلة فلا مكالمات أو مقابلات..

ولكن ما هو أو ماهى هذه التوقعات التى نوهت عنها زوجتى أكثر من مرة فى حديثها ونظرت إليها أكثر من مرة ولكنها كانت مستغرقة بالكامل فى مشاهدة إحدى المسلسلات التليفزيونية الفكاهية ومنصرفة إلى متابعتها بطريقة كانت

واضحة وجلية ، ومن مساحة الضحكات التى ترتسم على وجهك البرىء أحسست أن كل شىء على ما يرام ..

- حمدا لله يارب..
- وفى ساعة متأخرة من الليل استبدنى شوق أن أسمع صوت مريم تليفونيا مرة أخرى ونتفق على باقى تفصيلات لقائنا المرتقب خصوصا أن كل شىء هادىء فى الميدان الغربى..
- مساء الخير ..
- جاءنى صوتها حانياودافئا وخافتا بعض الشىء أو وسنانا من آثار النعاس..
- وتساءلت هى:
- لسه فاكر؟؟
- أنا فاكر على طول بكرة زى ما اتفقنا ..
- الساعة 7 مساء..
- فى نفس المكان ؟
- فى نفس المكان ..
- ما الذى أستطيع أن أحضره لك سوى روحى..
- أنت فقط..
- ولا..
- أنت فقط..
- من الذى يصل قبل الآخر ؟
- كلانا سيصل قبل الثانى ..

obeikandl.com

- واستعذبت أن أسمع هذه العبارة الرقيقة والجميلة والجديدة فى قاموس المحبين والتى قالتها فى همس "كلانا سيصل قبل الثانى"
- وهتأخذ هدية عيد ميلادك وأنا متأكدة أنها ها تعجبك..
- بالتأكيد وكنت أعلم أن الهدية هى عبارة عن صورة لها فى السنة السادسة من عمر حبى لها فقد اتفقنا أن هدية عيد ميلادى منها طوال مدة حبى لها صورة لها فى كل عام من أعوام قصتنا ومؤرخة بالسنة الأولى أو الثانية أو الخامسة ..
- بحبك ..
- وأنا بحبك..
- قلتها فى صوت متهدج لا يكاد يسمع ولا أدرى هل خفوت صوتى وانخفاضه كان خوفا من الظروف المحيطة بى أم هو إغراق منى أنا وهى فى لحظة حب وليدة وغامرة ..

جاءنى صوت زوجتى فجأة من غرفتها ..

- من الذى تحادثه فى التليفون؟

ده جرس..

- فى هذا الوقت المتأخر أريد أن أنام
- حاضر ..

كان صوتها أمرا وحازما ومؤكدا وكانت لهجتى يشوبها شيء من الخوف ..

الخوف علىَّ وعلى مريم بل وعلى جرس فهو أصبح شريكا لى اعتبارا من مقابلته الأخيرة ..

قالت مريم والتى لم تكن قد أغلقت سماعة الهاتف بعد

- أنا فى انتظار موقفك لما لما أشوف هتعمل أيه ؟ هاتختار حبك لى ولا خوفك منها ، وأعرف أنك لوسمعت كلامها وتركت التليفون سأقوم بالاتصال بها غدا وأحكى لها عن كل شىء اختار .. حبك لى وألا خوفك منها ..
- لا لزوم لذلك يا جرس .. أنا خايف عليك أنت .. طبعا أنت فاهم
- أنت حر..
- وأغلقت هى التليفون بعصبية شديدة أصابتنى بالدهشة والوجوم ..

وتسللت أنا فى هدوء مصطنع وولجت إلى غرفة النوم وانسللت إلى جانبها على السرير وأنا أخشى أن تشعر بدقات قلبى المضطرب والتى ازداد وقعها علوا وأصبحت كقرع أجراس الكنائس..

- ولم أنم، أن ما مر بى منذ برهة كفيل بإثارة قلقى وسهادى .. وما سوف يحدث غدا كان كافيا لطرد النوم عن أعينى لمدة شهور.. فى الصباح كنت سأشترى هدية لمريم ، وباقى اليوم سنقضيه سويا فى عش الزوجية الخاص بنا ، وكنا نطلق هذا الاسم على الشقة الصغيرة التى ابتعتها لها كى نلتقى فيها سويا منذ أن ولد الحب بيننا ، وفى المساء سوف يكون علىَّ أن أواجه الهجوم الشديد من زوجتى وأسئلتها المتلاحقة عن سبب تغيبى عن المنزل طول النهار .. ثم فى آخر اليوم سوف أستكمل مباحثاتى السرية مع جرس ثم وبعد ذلك أقوم ب...
- أضيء نور الغرفة فجأة ووجدت زوجتى – والتى كنت أعتقد أنها نائمة بجوارى – هى التي انسلت خفية من الفراش وقامت بإضاءته وسألتني في لمحة شديدة فى لهجة شديدة الوطء ويدها ما زالت على مفتاح الاضاءة لم ترفعها بعد:
- من كان على التليفون؟!
- متى؟
- الذى كان على التليفون ؟

- ده جرس..جرس..
- وجرس تقول له هذه الكلمة الغريبة ..
- تستطيعين طلبه الآن وتسأليه عن صدق كلامى ..
- لا داعى.. أنا أصدقك ولكن فقط خيل إلىَّ أنك أنت وجرس هذا تتبادلان الحب والغرام..
- وضحكت أنا ضحكة مغتصبة من تلك الدعابة التى أطلقتها السيدة..
- وجاءت إلى الفراش تاركة النور مضاء وأخذت أنا أحاول- دون جدوى- معرفة كيف تسللت من الفراش دون أن أشعر بها رغم أنى كنت مستيقظا ..
- نامى يا سيدتى ..نامى فعما قريب سوف تستريحين منى للأبد ..سوف تستريحين منى ومن إزعاجى لك.. وسوف تتخلصين من تليفوناتى الكاذبة ومن كل شىء وسوف تهنأين بالحياة بدونى.

إذن فقد كان جرس حكيما وسديد الرأى ، فيما أشار به على ونصح بخطته البديلة

- وحاولت أن أنام .. ولكن دون جدوى ، لقد كان بداخلى دوى، كدوى الطبول وتوقفت عن التفكير فى أى شىء .. ولبثت على هذه الحالة ما يقرب من الساعة وهى ترقد بجانبى فى هدوء ، ولا تعلم أن بجوارها وعلى قيد مساحة لا تذكر تدور رحى المعركة قوامها وأسلحتها الخوف والقلق ومشاعر شتى غريبة وغامضة ومتباينة وآخذه فى الازدياد ..

بالرغم من كل هذا فقد خطر لى خاطر بأن أوقظها وأتبادل معها الجنس.

- نعم الجنس فهي مازالت برغم كافة الظروف زوجتي الأولى، أن الواجبات الزوجية لن تتعارض مع أي شيء آخر أعتزم فعله أو أنتوى القيام به، إن الرغبة موجودة ... وربما تكون هذه المرة هي المرة الأخيرة .. وبعدها سوف...

كانت ترتدي ملابس شفافة بعض الشيء يميل لونها إلى اللون القرمزي .. وكانت قسمات وجهها وأردافها وكذلك لون جسدها الذي يميل إلى اللون الأبيض المشرب بالحمرة ، أقول إنها كانت فاتنة ومثيرة بالمقياس العادي للأمور بل وبالمقياس غير العادي للأمور...

- كانت جميلة.. مثلها مثل زوجة جرس..
- ولكن حبيبة جرس كانت أرق وأجمل.
- وكانت زوجتي ذات أنوثة طاغية لاشك في ذلك.

ولكن حبيبة جرس كان لديها سحرٌ غامض لا يقاوم وأنوثة رقيقة تأسر القلب ويستحيل عليه الفكاك منها.

- وحين وضعت يدي بهدوء على كتفها الأيسر .. ثم مسحت برفق بيدي على باقي ذراعها ومن ثم طوقت كتفها الأيسر بذراعي الأيمن، تفتحت عيناها فجاة ورمقتي بنظرة سحيقة.. نظرة كانت أشبه بنظرات سمكة القرش التي لا حياة فيها والتي تخدع بها فريستها قبل الانقضاض عليها.
- ولكن لم أتراجع عماكنت قد بدأت فيه، فقد ثارت بداخلي رغبات وغرائز شتى بل وحمى شديدة الوطءو جعلت من التراجع أمرا صعبا.

وبدت كأنها استكانت لمحاولاتي المحمومة وخاصة حين هممت بتقبيلها، أكملت هي تفتح عينها وقالت في تساءل لم أجابه حدوثه من قبل.

- من؟؟
- من؟؟ من؟
- من الذي كان على التليفون؟
- مرة أخرى .. لقد أخبرتك بأنه جرس.

- وأغلقت السمكة عيناها شبه المتفتحة.. وماتت الرغبة التي كان قد استعر أوارها بداخلي بل وانكمشت كافة غرائزي وبردت السنة الحمى التي كانت منذ برهة وجيزة تسومني لهبا وصهدا وأحسست أن السرير قد استطال فجأة وأصبح طوله أكثر من طولي بحوالي خمسة أمتار وهو الذي كان يسع مساحة جسدي بالكاد.
- وأكملت هي نومها.. أما أنا فلم أنم، فلم يبق على انبلاج الصباح شيء يذكر، واختلط الأمس باليوم... وتعجبت من ذكاء وحكمة وتوقد ذهن جرس... وعزمت على أن اشتري اليوم هديتين .. هدية لمريم بمناسبة عيد ميلادها أما الأخرى فسوف أقدمها إلى جرس اعترافا مني بذكائه ومكافأة له على خطته التي أملاها على من قبل... وكذلك كي أشحذ أفكاره في إعداد باقي التفاصيل.

بالطبع ومن كثرة الإرهاق والتفكير المضني، وكذلك لبدء هبوب الرياح في الاتجاه المعاكس لكل توقعاتي بداخل المنزل، لذا فلم استطع الخروج طوال اليوم، حيث شعرت بأن جسدي كأنما ازدادت كتلته عشرات الأطنان ، وانهارت كافة ترتيباتي، ولم أخرج لا للعمل ولا لشراء الهدايا التي فكرت فيها والأكثر ألما أني لم أستطع الاتصال بمريم.. وكل ما استطعت فعله أني اتصلت بها الساعة الواحدة ظهرا وتحدثت معها على أنها سكرتيرة مكتبي وأفهمها بأني لن أحضر للعمل اليوم لظروف طارئة.

قالت بعد أن استمعت إلى كلماتي:

- يعني أنت اخترت جانب الخوف.

وأغلقت هي السماعة بنفس العصبية الشديدة بل وقبل أن أكمل كلماتي وأحسست أني كأنما تلقيت صفعة شديدة قاسية، وفي موجة الغضب العارم الذي

اعتراني حيال تصرفها هذا عزمت بيني وبين نفسي أن أجعلها تقاسي هي الأخرى عند تنفيذ فكرتي، وأن تنال نصيبا ولو قليلا من الأحزان التي سوف تنشأ.

قسطا ضئيلا، ولكن ليس على طريقة جرس بالطبع.

30 أبريل محصلة ما سبق في الأيام السابقة

يجب أن أكون أكثر حرصا وأشد حذرا.

هذه حصيلة أفكاري خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية.. وبالنسبة لمريم فيجب أن تعلم أن حبي لها، لا ينفي أن هناك حدودا يجب عليه مراعاتها ولا ينبغي لها تخطيها.

لا أريد أن ينتهي كل شيء إلى نهايات لم ولا أريد أن تحدث إلا بالشكل الذي قررته ومن ناحية أخرى لا أريد أن أجلب أو أنقل ميدان الحرب إلى ساحة مريم.. ينبغي أن تظل هذه المساحة بمنأى عن كافة الضربات، يجب أن أحافظ على هذه الساحة نقية وجميلة وساحرة.

حين اتصلت بمريم صباحا من مكتبي أفهمتها في موجز سريع ما حدث واعتذرت لها عما حدث أمس وأول أمس، وأفهمتها أن زوجتي في طريقها أو على الأقل على وشك أن تعرف قصتنا وأننا يجب أن تكون على حذر.

ولكن مريم كان لها رأيا مخالفا في هذا حيث قاطعتي في لهجة تشوبها الحدة والانفعال .

- تعرف ولا ما تعرف! أيه المشكلة أنا على استعداد أني أحضر إليها وأعرفها بكل الحكاية من الأول إلى الآخر وأنا على استعداد أن أحاربها وأحارب العالم كله من أجل حبي، أيا ما كان هذا الذي أحبه بل وسوف يأتي اليوم الذي أنفذ فيه كلمتي هذه.
- المسألة أن الحرب لن تكون بين قوى متكافئة فهناك طرف لديه من الأسلحة والأساليب الرهيبة ما يجعل أشد المقاتلين شراسة يبادر بالانسحاب والاعتراف بالهزيمة... لا..لا.. ستكون حرب بين النمر

والفراشة .. لا.. لا.. أما أنا فإن أسلحتي عفا عنها الزمن ولن تجدي، على العموم لنبق فترة في حذر إلى أن تهدأ الأمور واستطردت.

- أنا على العموم ممكن أحارب لكن المشكلة أني لا أريد أن يمسك أي شيء ولو كان يسيرا من جراء ما سوف يحدث يجب مراعاة الهدوء والخوف لغاية الحرب ما.

- قالت في نبرة شديدة الانفعال بل وأكثر حدة عن ذي قبل:

- هدئ أنت الأمور لوحدك وكما يحلو لك وانسحب أنت لوحدك .. وهادن أنت لوحدك.. وخاف أنت لوحدك وأكمل باقي عمرك لوحدك بدوني مفهوم.

وأغلقت السماعة في عنف وبنفس الحدة السابقة وهذا على ما يبدو ما تعودت عليه هي أخيرا وحاولت أنا مداراة خجلي أمام سكرتيرتي التي كانت على ما يبدو وقد ولجت إلى الحجرة لترتيب بعض الأوراق ولم تستطع أن تمنع نفسها من سؤالي فجأة.

- هي فين الحرب دي؟

- في البلقان.

- في البلقان؟ وهل ممكن تأثر علينا هنا في مصر بضرر.

- مصر!؟ مصر ومدغشقر أيضا.

طيب أردت أن أقول لسيادتك أن مكتب السيد الوزير اتصل وعبر عن عدم رضاه عن بعض المواضيع المعينة ونوه لاحتمال زيارة مفاجئة منه.

- شكرا.

- ومن الذي سوف ينتصر في الحرب.

- حرب أيه؟؟

- حرب البلقان.

- المسألة محسوبة ومحسومة من قبل ما تبدأ.

- وخرجت السكرتيرة من المكتب وأغلقت خلفها الباب في هدوء شديد.

- يجب أن أكون أكثر حرصا وهدوءا وأشد ثباتا أمام زوجتي.. ويجب أن أخفي المسحوق وكذلك رسائل مريم وصورها وهداياها الرقيقة وكل شيء يخصني أنا وهي ومن بين الصور التي يجب أن أحذر عليها أكثر، صورة تجمعني أنا وهي وكتبت هي خلفها بخطها هذه العبارة.
- "معا إلى حياة سعيدة موفقة".

كذلك يجب أن أقلل الاتصالات التليفونية من وإلى منزلي ومنزلها.

- وقد فكرت في إحراق الرسائل بل والصور التي أحتفظ بها وهي تقرب من المائة وخمسين رسالة وحوالي خمسة عشر صورة مختلفة لمريم ولكن رأيت أن هذا لا لزوم له في الوقت الحالي على الأقل وهناك أيضا خطاب غرامي مرسل من شكريه إلى جرس وصورة للسيدة العذراء كتب عليها جرس بخط يده إلى حبيبتي شكرية إذا كانت العذراء سترعاك في السماء فأنا راعيك في الأرض. جرس.. كان جرس قد نسيها في حوزتي ذات مرة بالصدفة وكذلك فكرت في التخلص من هذه المذكرات والأوراق التي كنت أهرع إليها في بعض الأوقات قدر استطاعتي ولكن تراجعت أيضا عن اتخاذ هذه الخطوة.

إن الأمور لم تزل في مهدها بعد.

لا داعي للتشاؤم بدون مبرر، الوضع ليس بالسواد والقتامة الذان يبدوان عليه.

المطلوب الحذر والحيطة فقط في هذه المرحلة.

أما مسألة الوزير فمن الممكن الترتيب لها ومواجهتها.

المهم- الحرب الدائرة أو التي ستدور – في البلقان.

وحين عدت إلى المنزل وجدت أن الأمور شبه هادئة ، ولم تشر السيدة أثناء الغذاء إلى أي شيء غير طبيعي ، وجرت الأمور بطريقة عادية ، بل واتفقنا أننا سوف نذهب الليلة إلى دار السينما أو إلى أحد المسارح، واستقر رأينا على الذهاب

للسينما حيث أني وكذلك هي لم نحبذ فكرة التوجه للمسرح وقالت إنها ترغب في مشاهدة فيلم في دار سينما مترو وذكرت لي اسمه وأظنه كان يدور حول مصارعي الرومان القدماء والحروب الضروس التي كانوا يخوضون غمارها، وأنا كان من رأيي أن نذهب لدار سينما أخرى كانت تعرض فيلما فكاهيا نال إعجاب جمهور كثير من الناس وكان بطولة النجم عادل إمام.

- قالت هي في آخر النقاش علي أي حال فكرة مشاهدة أفلام كوميدية فكرة جميلة.

ثم أردفت بطريقة تكاد تكون عفوية.

- يمكن والدتي تحضر بعد يومين لزيارتنا ... يمكن.
- أهلا.. وسهلا وكيف عرفت
- أنا اتصلت بها صباح اليوم وطلبت منها الحضور لتغيير الجو
- على العموم أهلا وسهلا..
- هل ستذهب للعمل باكر..
- ألف، أهلا وألف سهلا..

وانتبهت أنا إلى أنها كانت تنظر إلى متساءله في استغراب ودهشة .

- أسألك هل ستذهب للعمل باكر.

آه طبعا... طبعا.. وحكيت لها عن زيارة الوزير المرتقبة وموقفه من العمل وأنه عموما لا يستسيغ أسلوبي في أداء العمل.

وانتهينا من الغذاء.. وأخذت أنا علبة سجائري وتوجهت إلى غرفة المكتب متظاهرا بأني أريد قراءة وكتابة بعض التقارير بخصوص زيارة الوزير وفي الواقع كنت أريد أن أخلو بنفسي قليلا لمراجعة كافة خططي وأفكاري وكذلك للاطمئنان على محفوظاتي وأسراري ورسائل مريم والصور وأوراقي التي أدون فيها هذه المذكرات.

وكتابة مذكراتي عادة اكتسبتها في أوائل شبابي ومازالت تلازمني حتى الآن، لا لشيء إلا كي أعيش الحدث مرة ومرات سواء كان محزنا أو مفرحا.. وفي محاولة لم أفهم بالضبط ما وراءها أحضرت السيدة لي فنجانا من القهوة وتركته على حافة المكتب وانصرفت وهي تقول:

- "التدخين ضار جدا بالصحة ".
- واغتصبت أنا ابتسامة وضعتها على شقتي وأطفأت سيجارتي انصياعا لها.
- وحين أحسست أنها دخلت غرفة نومها قمت من فوري واطمأننت علي أشيائي وأسراري فوجدتها كما هي، الرسائل كما هي، والأوراق كما هي والصور كما هي وخطاب جرس كما هو كما وجدت أن صوري أنا ومريم سويا وجدتها بنفس التبويب ونفس الترتيب، وكذلك المسحوق في زجاجته كما هو، وبالرغم من أني أحسست أن هناك بقايا ما يشبه مسحوق نترات الفضة على بعض الرسائل ألا أنني لم أكن متأكدا من كنه هذا المسحوق.

على العموم فإن العدد كما هو والترتيب وطريقة وضع الخطابات كما هي لم تلمس بمعرفة أحد، وعلى هذا فإني ملت إلى التأكيد إلى أن السيدة لم تبدأ عمليات الاستعداد للحرب أو القتال أو الهجوم بعد، أما بخصوص زيارة والدتها فينبغي علي ألا أنظر إليها بعين التشاؤم.

- إنها زيارة لا تعدو أن تكون بقصد الفسحة وتغيير الجو.

وفي المساء اقترحت علي السيدة آن ندخل السينما مرتين وتحقق بذلك رغبتي ورغبتها. وإظهارًا لحسن نيتي أبديت إعجابي بهذه الفكرة وقررت هي أن ندخل الفيلم الفكاهي أولا في الحفلة المسائية ثم بعد ذلك نذهب إلى الفيلم الأجنبي (المصارعون الأشداء) في حفلة منتصف الليل.

- ولم أرى مناصًا من إعطاءها موافقتي على ما تراه.
- وكانت السهرة فرصة لاستعادة الأرضية التي كنت أقف عليها من قبل، وقد زالت عني بعض مظاهر التوتر الممض اللذان أرهقا أعصابي خلال الأيام الأخيرة، وضحكنا كثيرًا من المواقف الفكاهية وطرائف عادل أمام في الفيلم الأول، ولشد ما انقبضت مشاعري واكتئبت نفسي أثناء متابعة الفيلم الثاني ، المصارعون الأشداء وقد أحصيت عدد الذين ماتوا ولقو حتفهم في أحداث الفيلم، فوجدت أن عددهم يفوق المئات وأغلبهم صرعوا وماتوا بطريقة وحشية رهيبة ولكني لم أستطيع أن أظهر ذلك على وجهي ، وحين كنت أختلس النظر إلى وجه زوجتي وهي تتابع أحداث هذا الفيلم المريع كنت أجد أنها في أقصى حالات الاستمتاع بهذه الأحداث ، وبتلك المعارك الرهيبة، ووحشية وبأس المصارعين الأشداء..
- وانتهت السهرة في حوالي الساعة الواحدة والنصف بعض منتصف الليل.
- وعدنا إلى المنزل.
- وأردت أن أقطع الشك باليقين وأعرف مدى ما وصلت إليه من معرفتها لأي شيء ولذا فأني انتهزت قيامها بخلع ملابسها ملابس السهرة – وقمت تبطويقها بذراعي وجذبتها- برفق – إلى منتصف السرير.
- تصلب جسدها بعض الشيء.
- ولكن سرعان ما الانته هي بفعل حرارة التصاق جسدي بجسدها، واستكملت هي خلع القطعة الأخيرة والصغيرة من باقي ملابسها.،
- وتلاقي الوجهان.
- وتلامست الشفتان.

والتصق نهداها العاريين بصدري المتأجج.

وخاصرتي بخاصرتها.

وعبرنا معا ارتعاشة شديدة الشبق اختذلت كافة غرائر الرجال ورغبات النساء منذ أن عرفت البشرية طريقها نحو الشهوة والجنس في لحظة قصيرة بالغة الروعة وعامرة بالانتشاء الساحق.

- وأعطيتها نفسي ببذخ شديد واضح الثراء.

وأعطتني نفسها بسخاء غير معهود وإن كان مغلفا بشيء من التحفظ والكبرياء المقنعة .

وتدفق نهر من النشوة الغامرة الرائعة، راح يصب ماءه في بحر من الخمر المسكرة.

واختلج جسدها اختلاجة يسيرة.

واهتز جسدي كله وكياني في زلزلة عنيفة ورجرجة مدوية.

- ثم.. ثم ما لبث أن هدأ جريان النهر الصغير.

- وسكنت أمواج البحر الهادر شيئا فشيئا هي الأخرى.

- وشيئا فشيئا تلاصق جسدينا مرة أخرى ولكن في سكون وصمت.

- ومن المذياع الصغير الذي كان موضوع في مكان ما بالغرفة، انسابت أصداء لحن خافت من أعمال العبقري الصغير "لودفيج فان بيتهوفن" وهي يحكي في سيمفونيته الخالدة والمسماة "بالمعركة" والتي خلدت انتصارات الإمبراطور الغازي نابليون بونابرت وجسدت انتصاراته وأمجاده وغزواته.

- ثم حكت وصورة انكساره وهزيمته في ووتر لو

obeikandl.com

- وأختم "لودفيج فان بيتهوفن" تلك الانتصارات بلحن قصير، عبر تعبيرا رائعا عن هذا الواقع الأليم.

أطلقت المدفعية طلقاتها.

في غرارة وقوة وتتابع مستمر.

ثم تباعدت الطلقات وهدأت شيئا فشيئا .. ثم عم السكوت وساد السكون والهدوء.

نعم.. نعم.. نعم.. كل شيء هادئ في الميدان الغربي.

لا شيء يقلق.. والوزير أمره مقدورا عليه.

فقط ينبغي الحرص والحذر والمحافظة على هدوء الميدان.

***

obeikandl.com

10 مـــايـــو:

تركت الأيام الأخيرة أثارا عميقة من التجاعيد والخطوط الغائرة على قسمات وجهي.. أما بداخلي فكان وقعها أشد وأعمق أثرا، فقد حدثت نتائج مغايرة لما كنت أرجو، فعقب تلك الليلة الشهيرة التي بدأت بالفيلم الفكاهي والآخر ذي المشاهد الدامية وانتهت بتلك الموقعة الجنسية الصاخبة، حدث هدوء تشوبه بعض المودة والوئام بيني وبين زوجتي.. بالرغم من أني كنت أرى في عينيها لمعانا غريبا وبريقا غامضا في نظراتها في كافة الأوقات، إلى أن الأمر لم يتعد ذلك.. وحين جاءت والدتها إلى زيارتنا توقعت أنه وبالتأكيد سوف تحدث كثيرا من المشاكل والمواجهات .. ولم أكن أعلم على وجه التحديد كيف سأقف موقف المدافع عن أفعالي.. كذلك لم أكن أعرف كيف سيبدآن بالهجوم على.. وكذلك كنت أجهل ما نوع تلك الأسلحة التي سوف يستخدمانها ضدي ويجربانها في مواجهتي .. إلا أنني وعلى وجه اليقين كنت أعرف نتيجة تلك المعركة سلفا .. وقد عاودتني كثيرا وقائع ذلك الحلم الذي عشته من قبل في ليلة 27سبتمبر الماضي.. كما كنت لا أدري لماذا كنت أقرن وقائع ما سوف تقع من حرب بيني وبينهم بتلك الوقائع التي شهدتها في فيلم المحاربون الأشداء.

كان خوفي مزدوجا فإلى جانب خوفي الغريزي على نفسي، كنت أخاف أيضا على مريم.. وخوفا من أن تكون زوجتي قد استطاعت وبطريقة ما إلى التوصل لمعرفة شخصيتها، ومن ثم تقوم بإرسالها إلى عالم آخر أرحب وأوسع مما ينبغي.

وفي هذه الحالة ولأول مرة سوف تسبقني مريم وتكون هي بانتظاري ولست أنا..

ولكن والدة زوجتي لم تمكث أكثر من يوم واحد فقط، ثم عادت إدراجها إلى بلدتها القريبة من القاهرة في صباح اليوم التالي مباشرة.. وشعرت برجاحة عقل زوجتي في أنها لم تشأ أن تثير الزوابع في محيط المنزل وكذلك لعدم رغبتها في أن تجعل المعركة تأخذ طابعا دوليا ماحقا.

وقد تحدثت مع جرس اليوم وأحطته علما بكافة ما حدث.

- أأنت مازلت على قيد الحياة؟ بادرني جرس:

- ماذا تعني؟..

- أعني إنك لم تنتحر حتى الآن ولم تترك لغيرك تنفيذ هذه المهمة نيابة عنك، لا زوجتك أو والدتها.

- لا.. لم يحدث لا هذا ولا ذاك.

- أأنت عازم حقا على التخلص من تلك الحيـ

- هذا قراري وأرجوك ألا..

- بالرغم من تأكيدك.. لكن ماذا فعلت والدة زوجتك حين حضرت إلى المنزل..

- لا شيء مكثت أقل من يوم ثم عادت إلى بلدتها.. تناولت طعام الغذاء والعشاء وسافرت مبكرة صباحا لم تمكث إلا عشرين ساعة فقط.

- آه!

- هل تظن؟

obeikandl.com

- أنا لا أظن شيئا، ولكني أعرف أن وضع أي خطة حربية وخصوصا من المحترفين والخبراء لا يحتاج وقتا طويلا للإعداد لها ويتم ترك التنفيذ بعد ذلك إلى ساعة الصفر المحددة سلفا.

- ماذا تعني يا جرس؟

- أعني أن الخطة وضعت ولم تكن تحتاج وقتا طويلا، وما بقى إنما هو التنفيذ فقط.. على العموم ربنا يستر على باقي الأطراف.

أرجوك لا تزد من اكتئابي.؟

أنا بحاول التسرية عنك ليس إلا.. ولكن.. ولكن في حالة ما إذا كنت ستمضي قدما في تنفيذ فكرتك فأرجو أن ترسل لي خطابات وصور شكرية التي نسيتها لديك.

- أنت خايف لهذا الحد يا أستاذ جرس

- الخوف ليس مشكلة، المسألة أنه لا لزوم لوجود حاجات شكرية عندك..

- حاضر..

وتعجبت في سري من أسباب الضعف البشري عموما.. وتذكرت لماذا أنزلني جرس من سيارته قبل منزلي بحوالي خمسين مترا حين كنت أنا وهو في الكازينو يوم 20 أبريل.

***

obeikandl.com

18 **مايـــــــو:**

والغريب أن الأيام المنقضية أحدثت نتيجة لم أكن أتوقعها، فعقب المكالمة الأخيرة من مريم والتي كان يشوبها الانفعال والحدة من جانبها وقالت فيها جملتها القاسية "اقضِ باقي عمرك ولوحدك" حاولت أنا الاتصال بها أكثر من مرة ولكنها كانت تتهرب مني ومن اتصالات أو مقابلتي وقد فكرت في أن أتوجه إليها في مقر عملها وأنتظرها وأتقابل معها.

لكني تراجعت عن هذا التصرف المتسرع

ينبغي على الرجل أيا كان هيامه ووجده بالتي يحبها أن يصمد في مواجهتها.

نعم.. نعم.. لا يصح هذا ولا ينبغي هذا

قليلا من الصبر يا قلبي

***

opeikanal.com

إلا أنني ويوما بعد يوم وساعة بعد ساعة ولحظة بعد أخرى بدأ ذلك الصمود يتسرب ويضمحل.. بل ويتبخر، وأحسست أنه لن يجدي الصبر والتماسك في مواجهة ما أعانيه من ابتعاد مريم عني.. بل ولا طائل من وراء هذا التماسك.. ولا طاقة لي باحتمال هذا الموقف أكثر من ذلك.

إنني وببساطة شديدة أحبها

أين ذلك الرجل ومنذ بدء الخليقة، الذي استطاع أن يصبر لحظة على بعاد حبيبته عنه؟ أين ذلك القلب الذي استطاع أن يكتم لوعته وشوقه وأساه وألمه من جراء هجر حبيبته له؟

لماذا ضج الشعراء والعشاق بما يكابدونه إذن؟

لماذا قال أحمد رامي:

عزة جمالك فين من غير ذليل يهواك

إن الرجل بالرغم من تباهيه بقوته إلا أنه في الأصل لم يخلق كي يتحدي المرأة ، وإنما خلق من أجل الإذعان لها لرغباتها، إن التحدي موروث في صفات المرأة منذ الأزل والإذعان والاستسلام لها إنما هو طبيعة تجري في دماء الرجل تجاه المرأة منذ أن خلق ووجد وأن حاول أن يخفي ذلك عنها أو عن الآخرين.. ومن ثم لا يتبقى للرجل سوى أن يبرر لنفسه- وربما للآخرين- سبب استسلامه وخضوعه لها وهزيمته أمامها بهذا الشكل سوى بكلمة واحدة.

- هي الحب..

نعم.. لم يخلق الرجل كي يقاوم الأنثى أو يحاربها أو يهزمها، وإنما وجد كي يكون ميدان تظهر فيه الأنثى قوتها وجبروتها وتجري فيه تجاربها.

اليوم انتهزت فرصة وجود سكرتيرتي بمكتبي لمراجعة بعض الأوراق وقمت بإعطائها بعض الأرقام التليفونية كي تطلبها لي وتعمدت أن أقوم بكتابة اسم صاحب كل رقم تليفون أمام رقمه وكان من بين الأرقام رقم تليفون مريم.. وكذلك اسمها.

ولقد نجحت تلك الحيلة البسيطة وأجابت مريم على مكالمة سكرتيري وتناولت أنا السماعة في الوقت المناسب وهتفت.

- أهلا يا فندم..
- وأشرت للسكرتيرة بالخروج وإغلاق الباب خلفها.
- أهلا يا مريم... أخبارك أيه.. وحشـــــ
- من التي تحدثت إلى في التليفون؟ قاطعتي قاطعتني
- السكرتيرة..
- وأنت لم تستطع مواجهتي؟
- أنا طلبت أكثر من مرة وأنت تعمدت عدم الإجابة.. واليوم فكرت أن أحضر إليك في العمل وأحاول أشوفك
- وما الذي منعك؟ طبعا الخوف؟
- على العموم هذا ليس الوقت المناسب.. أنا طالب علشان اشتقت إليك.. أنا اشتقت إليك سواء رضيتي أم لا.. أنا حتى حاولت..
- يوم الاثنين 30 إبريل كنت فين؟
- يوم الاثنين .. يوم الاثنين.. آه .. آه كنت في المنزل لم أخرج منه نهائيا.
- ياريت تحاول أن تتذكر على وجه صحيح.
- أنا متأكد لم أخرج من المنزل لا يوم 30 إبريل ولا يوم 31 إبريل
- إبريل 30 يوم فقط..
- أقصد أني لم أخرج نهائيا..

obeikandl.com

- سيارتك كانت تقف أمام سينما ريفولي الساعة..
- لا.. لا.. مستحيل يمكن سيارة مشابهة على العموم يخلق من السيارة أربعين..
- ويخلق منك ومن زوجتك أربعين؟ يا أستاذ أنت كنت في سينما ريفولي مع زوجتك والفيلم كان اسمـ...
- طيب .. طيب على العموم مش وقته.. مش وقته.. الموضوع إنه..
- أنا لي طلب قد يكون الأخير، صوري وخطاباتي أرجو أنك تبعتها لي باكر أو سأحضر أنا كي آخذها.. وإذا لم تستطع فأنا على استعداد أن أقول لزوجتك عن مكان أشيائي وأطلب منها إرسالها لي.. ما رأيك ؟ اختار..
- لا.. لا.. لم تصل الأمور إلى هذا الحد يا مريم..
- أنت حر.. وأغلقت هي السماعة في انفعال شديد وتركتني..

وحين دخلت السكرتيرة تحمل إلى فنجان من القهوة وبعض الملفات المطلوب دراستها وكذلك الجرائد الصباحية ، بادرتني بقولها:

بيقولوا أن هناك هدنة بين الأطراف في البلقان، وأن الحرب انتهت أو..

كذب ... كذب.. الحرب لم تنته ولن تنتهي

ووضعت السكرتيرة فنجان القهوة والجرائد الصباحية على المكتب وتراجعت إلى الخلف خارجة، وعلى وجهها ارتسمت إمارات الدهشة من حدة صوتي

***

لو تعلم المرأة ما الذي يعانيه الرجل الذي يحبها حين تحدث بينهما قطيعة أو فراق أو بعاد؟

إني أتعذب.. وأقاسي الألم منفردا وأداري أحزاني بداخلي، حتى مظاهر الألم أخشى أن يراها غيري مرتسمة على وجهي، فأحاول جاهدا أن أخفيها.

مريم ما زالت على موقفها، مصرة على العناد والقطيعة وتتجنب الرد على اتصالاتي أما أنا فإني مازلت على صموي- الخارجي فقط- أما بداخلي فلا توجد خلجة من خلجاتي إلا وتلح على مطالبة أن أسارع وأبدأ في مصالحتها.. ولا توجد دقة من دقات قلبي إلا وتهفوا إليها.. ولكني أحاول التماسك.

ويوما بعد يوم أصبح للساعات طعما تشوبه المرارة والألم.. وأخذ السهاد والحيرة ليلا يسلمانني إلى ترقب وقلق وانتظار طول ساعات النهار، وأصبحت اللهفة تستنزفني والترقب والانتظار يقتلان الأمل في قلبي.

أننا لا نقبل من المحبوب إلا شيئين فقط أو إحداهما- بالرغم من تناقضهما- إما الصد.. والأعراض وإما العطاء والامتزاج.. أما الرفض الكامل أو الحب التام.. الرفض سوف نقابله بالحزن والألم والحسرة.. وأما الحب الكامل فسوف نقابله بالمبادلة والتفاني وبشعور من السعادة الجارفة لكل شيء.

أجل لا يقبل الحبيب من محبوبه إلا موقف من هذين .. أما غير ذلك فلا محل له.

وحين نظرت للمرآة طالعتني محيا وقسمات غريبة عني، حاولت أن اتعرف على صاحبها ولكني لم أستطع..

كان صاحب هذا الوجه معروفا لدى منذ ستة أشهر..

أما اليوم..

3 **يـــونـــيـــه :**

اليوم لم أستطع أن أغالب ذلك الوهن والضعف والإعياء اللذين مافتئا يتخللان أعضاء جسمي ولزمت الفراش في انتظار وترقب أن تبادر مريم بالاتصال بي.. ولكن دون جدوي فلم تشأ أن تتنازل عن عنادها وتحادثني حتى في أي شيء.. أما أن فإنه بالرغم من مرور لحظات عصيبة علي ، إلا أنني اتخذت وعدا على نفسي بأنني لن أبادر بالاتصال بها مهما كلفني الأمر من مشقة الانتظار، أما خوفا على آخر ما تبقى بيني وبينها- أي مريم- وأما عدم استطاعتي مواجهتها فيما قد تواجهني به.. أو في القليل شيء من التجلد والصبر... وقد وتأخرت زوجتي عن العودة للمنزل حتى الساعة السابعة مساء، وحين عادت سألتني عما إذا كنت قد غادرت المنزل هذا اليوم، فأجبتها بالنفي وسألتها أنا بدوري عن سبب تأخرها فأجابتني:

أنا كنت راجعه بدري ولكن أرسلوا لي إشارة في الساعة العاشرة صباحا بوجود جثة لسيدة وأخرى لرجل وجدا مقتولين في شقة تخص الرجل، وأنه تم نقلهما إلى المشرحة، ومطلوب تشريحهما على وجه السرعة لتقديم تقرير عن سبب ووقت الوفاة، حيث وجدت لدى الشرطة شكوك بأنهما ماتا مقتولين بالسم.

- وأين كان أولادهما

- الرجل لم يكن زوجا للسيدة، بل كانت عشيقته، أما زوجته وأولاده فهم الذين أبلغوا بغيابه وبالعثور عليه وعلى الـ..

- وهل مكثتي بالمشرحة حتى هذا الوقت..

- لا.. لا بالطبع فأنا بعد انتهائي من تشريح الجثتين ، قمت بجولة في المحلات لشراء بعض الفساتين الجاهزة لزوم الصيف.. غالبا التشريح لا يأخذ مني وقتا واشتريت الـ..

- عقب التشريح؟؟ سألتها مرتاعا..

- عادي أنت عارف أن التعامل مع الجثث أسهل عليَّ كثيرا من التعامل مع الأحياء..

واستكملت هي خلع ملابسها وتجربة ملابسها الجديدة.. وازداد الوهن والإعياء والتشاؤم بداخلي..

بل والقتامة الشديدة..

***

obeikandl.com

السابع من يونيه :

لا جيد .. انقطعت الاتصالات بيني وبين مريم تماما.. ولم تبد في الأفق أي بادرة توحي بقرب انتهاء هذه القطيعة.. أما في المنزل فقد أخذت السيدة تنتهج نهجا وطرقا مختلفة، الهدف منها إدخالي – وفي أقرب وقت- لمستشفى الأمراض العقلية، ففي الصباح كانت حين توقظني من النوم تهزني بعنف كي أصحو وكنت أرى في نظرات عينيها المصوبتين نحوي وميضا مخيفا يشع وينبعث من نظرات عينيها. أما وجهها فكانت ترتسم عليه ملامح من تريد أن توقظني كي تسوقني سوقا إلى غرفة الإعدام أو الشنق.

ولقد راودني هذاالشعور المخيف أكثر من مرة – إنها إنما توقظني كسي تسوقني إلى غرفة الشنق- لدرجة أني قمت بتبديل رداء النوم الذي كنت أرتديه – حيث كانت بعض بيجاماتي يميل لونها إلى اللون البني الغامق- تماما مثل ما يرتديه المساقون إلى غرف الإعدام، ولكن ظل هذا الشعور يلازمني كل صباح كما هو ولم يبارحني ولم أستطع التخلص منه رغم التخلص من لون بيجاماتي .. أما في الظهيرة حيث كنا نلتقى على الغذاء فإنها كانت تبدو بشوشة وودودة أكثر من اللازم وعلى خلاف المعتاد وتظل على هذه الحالة من الود والبشاشة المغلفين بالهدوء حتى الساعة العاشرة مساء حيث تتوجه في هذا الوقت إلى غرفتها مغلقة الباب خلفها وتطفىء الأنوار ثم تستغرق في الحديث بينها وبين نفسها بكلمات وعبارات غير مفهومة وغير معلومة اللغة ومبهمة الحروف والمقاطع والجمل.

- وقد تكرر ذلك كثيرا.

- وأمس دفعني حب الاستطلاع أن أقف على ما تقوم به زوجتي، وأن استجلى أمر تلك العبارات والكلمات الغامضة والمبهمة المعاني، والتي أحيانا ما كانت تتناهي إلى مسمعي أثناء فترات السكون منبعثة بصوت زوجتي من داخل غرفتها، ومن ثم فقد قمت بفتح باب الغرفة عليها وبدون مقدمات، وفي نيتي أن أتحجج لها بأي سؤال عابر يبرر سبب تصرفي المباغت هذا واقتحامي لخلوتها بهذا الشكل.

الغرفة كانت مطفأة الأنوار.. وقد خيم على جوها هدوء غريب وثقيل على النفس لدرجة أحسست معه أن هواء هذه الغرفة وجوها مختلفان تماما عن هواء باقي الشقة. ومن خلال ضوء الطرقة المتسلل، رأيت السيدة تجلس في منتصف السرير واضعة يدها في منتصف خصرها وفي تحفز كمن يتأهب للنزال أو المصارعة كما كانت تحدق في أربعة أوراق بيضاء رصت أمامها على ملاءة السرير بطريقة غريبة بعض الشيء حيث كانت هناك ثلاث ورقات وضعت في وضع رأسي أما الرابعة فوضعت بمفردها بجوار الورقة الوسطى وعلى كل ورقة كانت هناك رسومات خاصة مختلفة عن مثيلاتها من الأوراق الأخرى.

ولم تتحرك زوجتي أو تغير من وضعها بل ولم ترفع عينيها عن الأوراق المرصوصة أمامها، وبدت كأنما لم تحس بوجودي أصلا، بسبب استغراقها فيما كانت تقوم به من طقوس سحرية غامضة.

وهالني ما رأيته وارتاعت نفسي وأقشعرت خلجاتي، ومن ثم فقد استجمعت أطراف شجاعتي الفاره وسألتها في استحياء مشوب بالخوف وفي تلعثم.

- ما... ما الأمر..؟

- قالت في جفاء وبرود دون أن ترفع عينيها عن الأوراق:

- أي أمر؟

– ما الذي تفعلينه؟ وأي طقوس غريبة تلك التي تقومين بممارستها؟

– هل ترى أنت أية غرابة في تصرفاتي تلك؟؟

– وأنتابتني الحيرة..

– لا غرابة .. فقط إذا كانت هذه لعبة فأشركيني بها.. وإذا كانت هواية فلا بأس من أخذ فكرة عن تلك الهواية.. أما إذا كانت.

ولم أكمل كلماتي فقد قامت هي فجأة بجمع الوريقات الأربع من على ملاءة السرير ثم قامت باعادة ترتيبهما ترتيبا مختلفا وألقتهم مرة أخرى على السرير ولكن في وضع اختلف عن سابقه، فقد وضعت ورقة واحدة بمفردها وثلاث ورقات بعضهن فوق بعض..

وبصوت بدا كأنما يصدر من مصدر آخر غيرها – صوت بدا كأنما يأتي من أغوار سحيقة قالت:

حين انتهى من هذا الذي تراه سوف يكون هناك متسع من الشرح.. وربما لا يكون.

وغادرت أنا الغرفة متصعنا الابتسام من هذا الذي أراه وأن كنت قد أحسست أن قلبي يهوى من مكان سحيق، وانهمكت هي في استكمال قيامها بتلك الطقوس الغامضة والإشارات غير المفهومة وكذلك الكلمات المبهمة التي كانت تتمتم بها والتي كانت تشبه إلى حد كبير ما يقوم بفعله بعض السحرة في قبائل الأمازون ووسط أفريقا.

وتكرر هذا كثيرا وتسارع وتلازم .. فقط مع تغيير الأوقات وتبديلها، فأحيانا كانت تبدو بشوشة وودودة في الصباح أما في الظهر فكانت تقوم بأداء تلك الطقوس الغامضة وتتمتم بهذه العبارات المهبمة والإشارات المخيفة وفي المساء تبدأ

بالتحفظ والحدة والعصبية، أما في اليوم التالي فتعكس تلك الفقرات وتجعل تتابعها مختلفا وترتيبها معكوسا.

من باب الاحتياط قمت بالاحتفاظ بأكثر من رقم لهواتف أطباء الأمراض النفسية والاضطرابات العصبية، كنت أثق في مقدرتهم على علاج الحالات الطارئة والتي وبالتأكيد سوف تلم بي.. وأعطيت جرس تلك الأرقام وأوصيته أنه- وفي حالة الضرورة – عليه استدعاء أحدهما لمعالجتي واستمرت زوجتي في الإتيان بهذه الأفعال ، ومن ثم فقد ازدادت يوما بعد يوم تلك المساحة الزمنية التي كانت تستغرقها في القيام بهذه الأفعال الغامضة والطقوس الشادة.. كما ازدادت شراهتها في استجلاب أسباب ومعطيات النكد في المنزل.

وهي بلا شك كانت تحمل شهادة تقدير في هذا المجال..

ونتيجة لذلك، فقد ازدادت المساحات والفواصل بيني وبينها أكثر مما هي عليه مما خشيت معه أن تقوم هي بانتزاع الحياة مني

ولكن لن أسمح لها بذلك بالطبع.

***

11 يـــونـيـــه :

أما مريم فقد ازدادت عنادا وجفاء وصدودا وتصميما على القطيعة والبعاد بل المؤلم أنها- وفي تحد جامح- لم تعد تخفي نفسهاعن اتصالاتي التليفونية لها، مما جعل لا لزوم لأن تقوم سكرتيرتي بالاتصال، وتدخلها بأسئلتها السخيفة لي بشأن مريم.

- صباح الخير يا مريم..
- صباح الخير..
- أخبارك إيه..
- احكي لي عن الفيلم..
- فيلم إيه يا مريم؟
- فيلم إيه ؟ فيلم سينما ريفولي..
- اعتبري الموضوع خطأ.. الأمر ليس جريمة أننا ندخل السينما أنا وزوجتي مرة في العمر .. أنا حتى لم أر الفيلم لأني نمت أول ما قعدت على الكرسي.
- أنت ومن؟ والفيلم الثاني نمت برضه
- فيلم إيه الثاني
- يا سلام يظهر أنك بتنسي، سينما مترو الساعة..
- الأمور بالطريقة دي لن تكون..
- والفيلم الثالث؟ احكيلك عنه أنا والابلاش؟

obeikandl.com

- لا... لا... لا لزوم لذلك لا داعي لذلك هذا يكفي..

وأغلقت أنا السماعة وبعنف هذه المرة فليس من الحكمة الاسترسال والمضي في هدم تلك المشاعر العذبة التي تربط بين وبينها وتمزيقها بهذه الصورة المخيفة.

وتعجبت

كيف لهذه الفراشة الصغيرة أن تكون بهذه القسوة؟؟

وكيف يتأتى لتلك الزهرة الرقيقة أن تظهر لقلبي أشواكها بدل من أريجها العاطر.

وكيف تتحول هذه الياسمينة الغضة إلى كل هذه الخشونة والجفاء.

كيف؟ كيف؟

وداخلني أنا الآخر – ولأول مرة- تصميما على مقاطعتها .. بل ومقاطعة العالم بأسره إذا لزم الأمر، وهذا ما كنت أنتويه من قبل.

لن أركع.. سوف أدفن أشواقي وحبي ومشاعري لها قبل أن أدفن نفسي.

إذا ارتأت القطيعة فليكن لها ما تريد.

وإذا أرادت أن تحبني ، فيجب أن يكون حبها لي غير مشروط بقيود أو حدود.. إننا حين تعارفنا أنا وهي، وحين ولد الحب في قلبينا، كانت ظروفي وكذلك كل ما يحيط بي معروف لها.. لم يكن هناك شيء أخفيته أو داريته عنها.. لم أغشها ولم

أكذب عليها.. لا .. لم يحدث هذا قط.. لن يكون هناك تنازل مني أكثر من هذا الحد إنى أودع الدنيا كلها.. فلماذا أبقى على شيء في هذه الدنيا وإن عظم؟؟

لماذا؟.. إذا أرادت الصدود فإني سأخنق مشاعري.. وسوف أؤد ذلك الحب في قلبي وأدفنه في أضلعي.. وسوف أجعل من صدري مقبرة له.. ولن أتراجع عن هذا الموقف.

نعم.. سوف تدفن أشياء كثيرة في الأيام المقبلة.

ولكن سرعان ما عدت إلى نفسي وأخذت أقول.. ولنكن منصفين أين الأنصاف؟ أين العدل؟ إنها لم تخطئ.. إن هذا هو حقها الطبيعي في الحياة..

وحين كنت أصل إلى هذه النقطة.. حقها الطبيعي في الحياة أشعر بلسعة ألم بداخلي ووخزة في صدري.. وزفرة حرى تخرج من أعماقي وأتحسس الزجاجة السوداء.

***

15 **يـــونـيـــــه :"**

وتزداد الأمور قسوة حين ترى نفسك عاجزا عن إسعاد ومساعدة من تحب أو أن تبقى على وصله.. وتبقى المشاعر التي تكنها تجاهه كالنيران المتأججة كلما أردت أن أخمدها تزداد اشتعالا وتوهجا ويضطرم سعيرها أكثر وأكثر.

إن هناك جرحًا في قلبي يقطر دما.. إن تركته نزف .. وإن أهملته ازداد نزيفه.. وإن داويته اشتد ألمه ووجعه.

إني أتعذب

واصطلي بتلك النيران المتأججة بداخلي ومن حولي

ولا يبدو في الأفق مخرج من تلك البوتقة إلا وربما في تلك الزجاجة التي ترقد في أعماق مكتبي.

ولكن أيا كان القرار الذي سوف تنتهي له الأمور بعد ذلك.. وأيا ما كانت ما سوف تأتي به الأيام، فإنه وطالما بقت هي. وطالما وجدت وعاشت على وجه تلك الحياة.. فسوف تختزن ولو مؤقتا. كوامن ذلك الشعور والذي ولد يوما في قلبي لها.. وسوف تهب مرة واحدة.. بنفس القوة وبنفس العتو.. ستهدأ لحظة كي تضطرم في لحظات.. ستتوارى برهة ثم تشتعل مرة أخرى ولن تموت أبدا ولن تذبل ولن تخبو ولن تضعف.

بل ستحيا

إنها ولدت كي تبقى

وولدت كي تخلد وتعيش

ولدت كي تبقى في قلبي وفي فكري.. ولد ذلك الشعور بالحب لها.. وسوف يبقى في دمي وفي روحي وفي كياني.

سوف يبقى – ليس أملا- ولكنه حقيقة عشناها سويا.

وسوف يبقى – ليس ذكري ولكنها حياة بكل ما فيها.

وسوف تبقين يا مريم في حياتي.

وسوف تبقين في كياني.

تختبئين في أعيني خوفا من أن تراك أعين الناس- كما كنت تفعلين تختبئين، وتتوارين وراء ستارة أفكاري خشية أن تلمحك نظرات الآخرين.

وسوف تبقى تلك السعادة التي أعطيتها لي أياما وشهورا وسنوات وردا يملأ الحياة بالبهجة والمسرة والفرح والحب .

وسوف يفوح أريج الياسمين في أرجاء الشوارع والطرقات لأنك يوما عشت فيها وخطوت بإقدامك الرقيقة عليها.. وسيتضوع الهواء بالعطر والشذى لأنه يوما ترددت أنفاسك العطرة به واختلطت في نسماته.

إنك الأماني .. وأنت الدنيا بكل ما فيها.. أنت الماضي فقد وجدت معي قبل أن يبدأ الخلق.. وأنت الحاضر .. فأنت الآن معي .. أضمك إلى صدري وأسمعك وألمسك وأخاف وأحرص عليك كما يحرص ويخاف الطفل على أغلى هداياه.

20يـونيـــــه :

لم أعد أصلح لتلك الحياة ولم تعد تلك الحياة تصلح لي.

ولم أعد أستطيع أن أساير تلك الحياة ولم يعد في مقدور هذه الحياة أن تسايرني.

إني مرهق

مرهق

إني متعب

وأريد أن أنام في هدوء وأستريح في سكون.

لم أعد أصلح لشيء ولم يعد يغريني شيء.

نعم.

أريد أن أنام في خفوت وهدوء.

أريد أن أهرب من تلك الحياة، ولكن ليس إلى الموت ولا أريد أن أقابل الموت ولكن ليس حبا في الحياة..

وداعا

وأخرجت الزجاجة الصغيرة من مخبأها

لقد أصبح لونها داكنا .. ومعتما.. وموحشا.

نعم.. معتمٌ مثل نفسي تمامًا.

وموحشٌ مثل نفسي تماما.

وازداد بداخلي شعورٌ تام بأنه يجب على أن أغادر هذه الحياة وسريعا.

نعم.

يجب أن أترك تلك الحياة.

***

obeikandl.com

23 يـونيـــــه :

اقترب عيد ميلاد مريم.. يجب أن أمهد الطريق كي تعود المياه إلى مجاريها بيني وبينها كما يجب أن أحافظ بقدر الإمكان على تلك الحالة من اللاسلم واللاحرب في أجواء منزلي ويجب أن أفكر في اختيار هدية مناسبة لعيد ميلادها.. لا يهم الثمن.. ولكن المهم الهدية.. هي كانت تقول لي دائما "أنا غنية وأحب الهدية" ويجب قبل كل شيء أن نعود إلى سابق عهدنا.

وإذا تمادت مريم في هذا العناد وتلك القطيعة.. وإذا استمرت زوجتي في القيام بتلك الطقوس والأفعال الغامضة والمبهمة التي تقوم بها في المنزل.. فإني وفي هذه الحالة أوقن بأن كافة الأطباء والمنجمين والسحرة لن يستطيعوا أن يجدوا علاجا سهلا لحالتي ولو حاولوا.

أحسست اليوم وأنا أقلب في صفحات هذه المذكرات وكذلك وأنا أقرأ للمرة المائة خطابات مريم ورسائلها لي، أن هناك من يعبث بها أو على الأقل يطلع عليها.. لا أعرف لماذا أخذ يداخلني هذا الشعور.. ولا متى بدأ يلح على أفكاري . ولكني كنت كلما أردت التحقق من كنه هذا الشعور لا أجد دليلا أو إشارة أو أي شيء يؤكده، بل كانت كل الشواهد تنفيه تماما.

ربما كان هذا الشعور يداخلني نتيجة الخوف والحرص الشديد على هذه الأشياء.

ربما

وربما كان من أثر القلق من مغبة وقوع هذه الأشياء في يد تتلهف في البحث عنها.

ربما..

واطمأننت أكثر من مرة... على الصور والرسائل الخاصة بمريم وكذلك خطابات جرس وشكرية.. ولم أجد ما يثير الريبة أو الشكوك.. وزيادة في الحرص فقد قمت بترتيبهم مرة أخرى وترقيمهم بعلامات وأرقام سرية وعلامات خفية حتى أتأكد من شكوكي أو يقيني.. يجب الهدوء والبعد عن التوتر.. وتجنب القلق والخوف.

ولكن كيف؟

***

obeikandl.com

26 يـونـيـــــــه :

أعلم أنه سوف تأتي لحظة من اللحظات سيبارحني فيها اصطباري ويهرب مني صمودي وتتبخر فيها كبريائي وأندفع إليها وأبدأ أنا بالكلام وإنهاء هذه القطيعة مع مريم.

ولكني أخاف من تلك اللحظة.

أريدها أن تأتي بسرعة من ناحيتها هي.

وأريد أن لا تأتي مطلقا من ناحيتي أنا.

صباح اليوم فكرت في أن أبدأ بأخذ نصف خطوة للأمام وأن أمهد الطريق لعودة الأمور بيني وبين مريم، وذلك لأكثر من سبب أولها أن الشعور الملح بداخلي أخذ يدفعني دفعا إلى محادثتها.. وأعتقد أنها هي كذلك أيضا – اعتقادا مني فقط– وثانيها أن عيد ميلادها قد اقترب... وقد حرصنا أنا وهي طوال مدة هذا الحب الذي يربطنا أن تلتقى في هذا اليوم ونعيشه سويا.

وإذا استمرأت هي العناد والقطيعة .. وإذا تماديت أنا في الحفاظ على كبريائي أمامها.. فإنه لن يشهد هذا العيد اجتماعنا سويا.. وربما إلى الأبد.

صباحا. أحسست أن كبريائي في لحظة غفوة وانشغال لذا قمت مسرعا وخوفا من التردد في طلبها تليفونيا وأدرت رقم هاتفها.

– صباح الخير يا مريم.

obeikandl.com

- صباح الخير

- هو على العموم أنت حرة في أي قرار ولكن عاوز أعرفك بأنه يمكن يصدر قرار أعاره لي إلى دولة خارج مصر بالكامل.. خلال.. خلال أسبوع على الأكثر ها أسافر.

- هذا ما جاء على بالي من اختلافات.

- تقل إيه وأعاره أيه.. ودولة ثانية أيه؟..

- كان صوتها خاليا من أي تعبير.

- متقضيات العمل- أنت تعلمين أنه لا يوجد ود بيني وبين الوزير أو..

- قاطعتني في حده وانفعال واضح.

- وما صلتي أنا بهذا الموضوع.

- أنا قلت أنك يمكن.

- أنت أخطأت الرقم.. اطلب زوجتك وأخبرها بذلك.

- وما دخل..

- كلامي واضح..

- قلت وأنا أحاول أطيل أمد الحديث.

- على العموم إذا كان فيه أي طلب لحضرتك من الخارج تقدري.

- أنا لي طلب بس من الداخل فقط.

- سألتها بلهفة شديدة لم أستطيع أن أخفي وجودها في صوتي.

- أنا تحت أمرك لو أنك..

obeikandl.com

- هي حاجة بسيطة جدا ولن تكلفك الكثير، فقط صوري وخطاباتي ترسلها اليوم.

- آه .. آه حاضر.

- تفوهت بهذه العبارة وأنا أغالب ألمي وأحاول أن أقاوم بوادر الغضب التي بدت ألسنتها تشب في داخلي.

- على العموم أنا أتمنى لك حياة سعيدة وموفقة.

- مع من؟

- أتمنى لك حياة سعيدة موفقة دائما

- وطبعا هاتأخدها معك

- على العموم أنا أتمنى لك حياة سعيدة موفقة في أي مكان وأي زمان وأريد أن أقول إنه من المستحيل أن أنساك سواء كنت هنا أم في الخارج.

- شكرا.

- وانتهت هذه المحادثة وأنا أشعر بأن روحي تتمزق بداخلي ... وأن كياني كله أصبح في يد قوية أخذت تعتصره شيئا فشيئا. ودون رحمة.

وحين عدت إلى المنزل بدا واضحا حين نظرت إلى المرآة أن هنك مسحة حزن شديدة تعلو وجهي.

obeikandl.com

وحين سألتني السيدة عما بي أفهمتها أنه إرهاق في العمل بسبب تعنت هذا الوزير حيالي.

وبت ليلة مسهدة .. لم أجد فيها ما يسليني أو يعزيني أو على الأقل يستطيع أن يجعل من هذه الليلة الكئيبة أن تنتهي .. ربما حمل الصبح جديدا.

وقد استبعدت بالطبع فكرة الانتحار وأرجأت تنفيذها مؤقتا.. فلا ينبغي لي أن أتخلص من حياتي بسبب هجر الحبيب.

لا.. لا يصح هذا. لا ينبغي هذا.

ولكن ليتني أستطيع أن أقنع قلبي أن لا يشتاق إليها ويكتفي منها بالحرمان وعنها بالذكرى وليتني أستطيع أن أقنع فكري بأن لا يسرح إليها ويعيش معها.. وليتني أستطيع أن أقسر روحي بأن لا تفهو إليها.

ولكن.

هيهات.

فقد تملكتني منذ القدم .. واستحوذت عليّ وعلي مشاعري منذ الأزل. واستفرغتني واستفرغت كل كياني.. ولم تبق شيء لأحد سواها.. ولم يعد في قلبي شعورٌ لأحد إلا لها هي فقط.. وباقي الحياة من حولي ليس لها وجود.

***

28يـــونـيـــه :

صباحا وحال وصولي إلى باب مكتبي وجدت سكرتيرتي ممسكة بسماعة التليفون وتناولها لي وقد التمعت عيناها بلمعان غريب.

كان الوقت مبكرا على أي اتصال وسائلتها قبل أن أجلس.

- الوزير؟؟

قالت وقد ازداد اللمعان في عيناها بريقا.

- هو سيادة الوزير أو الدولة كلها استيقظت بعد، الساعة لم تتجاوز التاسعة.

وناولتني السماعة.

جاءني صوت مريم من الطرف الثاني.

- صباح الخير.

- صباح الياسمين .. ثم تداركت نفسي وحاولت أن أجد في صوتي نبرة جفاء وتحفظ.

- هاتسافر ! متى؟

- خلال عشرة أيام على الأكثر؟

- والعودة.

- ليس قبل مرور عام.

- وسادت بيننا فترة صمت قاتلة.

- وأنا....؟

- يعني أيه؟

obeikandi.com

- قالت بحدة وفي انفعال واضح.
- أنا.. أنا.. أنا.
- على العموم ليس وقته أو مكانه.. وطبيعي بعد كل ما حصل بيني وبينك أن تحدث...
- هو إيه اللي حصل .. زعل؟ آه.. تجاوز مني؟ آه .. انفعال ؟ وحدة؟ أيه يعني لكن النتيجة لن تكون.
- لا... لا.. لم يحدث انفعال أو تجاوز .. على العموم أنا قبل السفر سأرتب طريقة أو أي وسيلة كي تجعل حياتك مطمئنة علشان أسافر وأنا مطمئن عليك.
- قاطعتني وقد أصبح صوتها أكثر اختناقا عن ذي قبل.
- ما خلاص مالوش لزوم.
- لا.. لا.. كمان وعلشان الصور الخاصة بك وجواباتك مع أني كنت أرغب في أن أخذ كل شيء يخصك معي في سفري ولكن الأسلم أني..
- صور أيه؟ وخطابات أيه.. أنت كل يوم بتفاجأني بتصرف غريب.
- وأغلقت السماعة من جانبها وبطريقة لا تخلو من العصبية والمفاجأة.
- وازدادت الأمور تعقيدا عن الأول.
- أحضر لسيادتك فنجان قهوة سادة.

سألتني سكرتيرتي فجأة والتي لم أكن على الإطلاق قد لاحظت أنها مازالت تقف بالقرب من التليفون الذي ناولتني إياه ولم تبرح مكانها بعد.

لا.. لا.. شكرا. لم تصل الأمور إلى هذا الحد.

قالت وهي تجلس على الكرسي قبالتي مباشرة، ولم أكن قد عهدت منها هذا التصرف من قبل.

- أنا شايفة أن الأمور ربما تكون قد تعدت هذا الحد.

لا... لا... لم ولن تصل إلى مرحلة الخطورة بعد.

أنا مطمئنة من هذه الناحية .. فلا يوجد من يموت من الحب، يوجد من يموت حبا.

ولكن لا يوجد من يموت من الحب.

قالت ذلك وقد أخذ صوتها في الخفوت.

ماذا تعنين؟؟

استكملت كلامها في صوت مبحوح دون أن تلقى بالا لسؤالي.

لو أن هناك من يموت بسبب الحب أو بسبب انشغال حبيبه عنه، لكنت أنا قد أصابني الموت عشرات المرات يوميا، بسبب ما أعانيه وأعايشه.

نظرت متسائلاً.

بالطبع لا أستطيع أن أشرح لك كيف جرت الأمور.. ولكن في عبارة بسيطة أقول إني أحببتك.. ولقد بدأ حبي لك يغزو قلبي منذ عام لا بل عام ونصف.. ربما.. ولكني أحسست أني أحبك منذ عشرات السنين. ولك أن تتخيل ما الذي كان يعنيه هذا بالنسبة لي وأنا أراك كل يوم وأحادثك .. وأعرف أخبارك وأعيش ملتصقة بك أكثر من أي إنسان آخر في الوجود ولكن دون أن يتاح أو يباح لي أن أفصح لك عما يعتمل داخل قلبي نحوك... ولك أن تتخيل كيف كانت تمر عليَّ اللحظات والأيام والليالي وأنا أحاول كتمان هذا الشعور بالحب نحوك واللوعة من فراقك، وأعرفك بأن هناك أكثر من شخص تقدم لي معلنًا رغبته في الزواج مني وفي مراكز وأوضاع حسنة وممتازة ولكني أضعت كل الفرص من أجل حبي لك، ذلك الحب الذي وهبته كل حياتي ونذرت له عمري، ولم أشأ أن أعترف لك بهذا الحب من قبل، تاركه نفسي احترق وبمفردي ولكن ها هي اللحظة وجاءت فجأة.. لم... لم أفكر فيها.. لم أرتب لها.. لقد جاءت وليده عفوية أنا أعلم ذلك وموقنة منه

تمامـا، ولكن ليس بيدي حيله فقد تمرد قلبي واستعصى علي.. ولم تعد لي السيطرة على مشاعري أكثر من ذلك.. وها أنا اعترف لك أني أحبك .. أحبك.. وأعرف أن هذا الحب سوف يدمرني وسوف يقتلني.. وأعلم أنه لا أمل منه ولا رجاء فيه.. ولا أريد منك جوابا .. لا.. ولا أريدك أن تبادلني حبا بحب فهذا محال.. ولا أنتظر وعدا بأي شيء منك فهذا لن يكون.. وأنت تعلم أني أقول لك هذه الكلمات المعبرة عن مشاعري وأنشرها وأستخرجها من أعماقي عنوة ودون أي رجاء أو أمل في أي رجاء.. فقط عواطفي أنثرها أمامك .. وانثر مشاعري تحت أقدامك.. لا أريد شيئا منك سوى كلمة واحدة فقط.. لا شيء سواها.. أريد فقط أن تكون مقتنعا بصدق مشاعري نحوك.. فقط أن تقتنع بحبي لك.. أريد إجابة فقط.. نعم.. أم لا...

ولم أحر جوابا.

كنت مشدوها ومأخوذا بما تقوله.. فقد كنت أعلم صدق مشاعرها وبكارة أحاسسيها! أجل كنت مشدوها .. تملكت نفسي قائلا.

أقسم لك بكل ما هو مقدس لدي أني أعرف أن كلماتك صادقة وأن مشاعرك أصدق وأقسم لك بأني أشعر نحوك بمشاعر الود الخالص والاحترام الكافي.. بل أن مشاعري نحوك تقف في منطقة حدية بين مشاعر الأخوة الصادقة وبين مشاعر الحب التي تربط رجلا وأنثى.. لكن.. لكن المسألة أعقد مما تتصورين .. إنك.. إنك مازلت على أول عتبات الحياة، لم يتعد عمرك العشرين عاما.. أما أنا فإنه على الرغم من أن عمري يتجاوز سنوات عمرك بأكثر من الضعف، فإن هناك ما يجعلني أقول إن عمري قد تجاوز المائة عام وأن شبح الموت يلازمني كل ليلة وكل لحظة بل ويبيت معي في غرفتي.. ولكن لسبب لا أفهمه يقوم بتأجيل عمله المرة تلو الأخرى ولكن هذا التأجيل لن يطول.. لا يوجد مبرر لأن تدفن هذه الزهرة اليانعة والثمرة المورقة في الرمال.. وأقول لك صادقا أنه لو عاد بي

الزمن إلى الوراء لكان لي رأيا في حياتي مخالفا كل الاختلاف لما بقى وكل ما مر بي ولكن ما حيلتنا ونحن نأتي ونمضي دون أن نستشر لا في المجيء أو يؤخذ رأينا في الرحيل لقد تقاربنا سويا.. وتحاورنا وتجاورنا وعشت معك كما عشت معي ربما كانت هناك مشاعر نبيلة تربط بيني وبينك، مشاعر حب من ناحيتك ومشاعر الإعزاز والاحترام من ناحيتي ولكن أريد أن أقول..

إلا أنها لم تدعني أكمل كلامي وقالت وهي تقف في تصلب شديد.

هذا يكفي.. لا أريد المزيد.. وأنا أعتذر لك عن كل ما صدر مني.

وتركتني مشدوها.

ومرت فترة قبل أن استجمع حواسي ومن ثم استأنف عملي.

وحين قمت بالضغط على الجرس كي استدعيها بعد أكثر من ساعة من تلك المفاجأة.. جاءني فراش المكتب وبيده ظرف مغلق قدمه لي.

- أين رشيدة؟

- لقد غادرت العمل منذ عشر دقائق.. وفي الغالب أن لديها ظروف طارئة حيث شاهدناها .

- وعينيها تملؤها الدموع.

تم استطرد الفراش وهو يمد لي يده.

- وقد تركت لسيادتكم هذا المظروف.

وفتحت المظروف كان به خطاب وقصاصه ورقية صغيرة، الخطاب جاء فيه ما يأتي.

***

السيد الأستاذ المستشار مدير التفتيش القضائي

بوزارة العدل

تحية سامية.. وبعد

أرجو لظروف شديدة الاعتبار قبول استقالتي من العمل اعتبارا من اليوم

ولسيادتكم وافر الاحترام

الآنسة / رشيدة المليجي حافظ

2000 /6 /28

أما القصاصة فقد وجدت بها تلك السطور

ما بين الواقع والخيال فواصل سحيقة، محال علينا أن نتخطاها، وما بين الرائع والمحزن شعرة واحدة أرجو من الأيام أن نكتشفها.

مع تمنياتي لك بحياة سعيدة موفقة

وجاءت خالية من أي توقيع

ووافقت على استقالتها، فليس من الصالح أن أجعلها تتعذب أكثر من ذلك وأن تشاهد صنمها المعبود تحطمه المعاول من كل جانب

ووضعت القصاصة الأخرى في جيبي بعد أن كتبت عليها

يا صغيرتي العزيزة .. لم يعد لي في العمر متسعا كي أعيشه

openkandil.com

الأول مـــن يوليـــه :

وخلال الفترة السابقة كنت عازفا عن القيام بأي شيء حتى ذهابي إلى العمل أصبح غير منتظم ولم أسمع شيئا عن رشيدة مرة أخرى، حيث أن استقالتها من العمل قد قبلت .. وقد اتصلت بها تليفونيا محاولا أن أقوم بإثنائها عن هذه الخطوة التي اتخذتها بالاستقالة والعودة إلى عملها مرة أخرى ولمحت لها أن أيامي أنا أيضا في الحياة لن تطول كثيرا وأنه من الصالح لها أن لا تربط أو تقيد نفسها بشخص بات يودع الحياة إلى غير رجعة، ولكن دون جدوى، فعلى ما يبدو فإن بكارة مشاعرها وتجاربها الفضة، جعلتها تحكم على الأشياء من خلال فشلها في أن تعيش حلم الحب الذي كانت تحياه وتعيشه في صمت، كذلك فإن مفاجأتها بأن فارسها الوحيد، والذي عاشت تحلم بوصوله إليها ممتطيا صهوة جواده الأبيض، قد أتى بالفعل، ولكن لا لكي يأخذها خلفه، وإنما إلى حيث لا ترجو أو تحب.

وتعجبت من مشاعر تلك النبتة الصغيرة التي لم تزل بعد تخطو أولى خطوات الحياة.. وبالفعل فإني قد شعرت نحوها بمشاعر الإعزار والمودة ولكن أبدا لم يداخلني إحساس بالشفقة عليها أو العطف أو الازدراء نحوها.. كانت مشاعري نحوها تنم عن الإعجاب بها وبصمودها وبصراحتها وبقوتها في أنها استطاعت كتم وإخفاء مشاعرها- كما قالت طوال هذه الفترة ولكنها لم تستطع أن تكبح جماح هذه المشاعر أكثر من ذلك ولم تستطع أن تحكم إغلاق المرجل على تلك القوة العاتية للبخار المحتبس في داخلها طويلا ولذا ففي لحظة ضعف طارئة

وقوية اجتاحتها، اعترفت بحبها، وهذا ما زاد في ألمها كثيرا، وجعلها ربما- لا تريد لا رؤيتي ولا معايشة المكان الذي عاصره وشهد مولد ونمو حبها الصامت لي وترعرعه.

كذلك شهد انهيار أحلامها بداخله وبداخلها.

وعلى العموم فإن فارسها المنتظر قد تصرف حيالها بنبل شديد.. ولم يشأ مبادلة حبها الصادق بحب زائف أو بمشاعر كاذبة بل آثر صدق الحقيقة رغم مرارتها.

ولم أجد ما أملكه حيالها سوى الدعاء لها بالفرحة والتوفيق.

وهذه صفحة من صفحات الحياة التي يجب أن تطوي وهي مجللة بالاحترام والتقدير

***

obeikandl.com

الخامس من يوليه :

اقترب عيد ميلاد حبيبتي.. وخلال الفترة السابقة منذ آخر محادثة تليفونية وإلى اليوم، ولم أترك فرصة إلا وحاولت انتهازها كي تعود سوابق الود بيني وبينها ولم تكن المشكلة إلا في من يبدأ في التراجع ومحادثة الآخر، ولكن لم نختلف أنا وهي بيننا وبين أنفسنا على أن كل منا في حاجة ماسة إلى الآخر.. ومن ناحيتي أنا فإني لم أكن أشأ أن أجعل من ما تبقى من عمري يجري سراعا على هذا النحو.

كان حنيني يشدني إليها وبعادها عني يسومني رهقا وألما.

ولا بد أن نقر بأنه ما دام قد اعترفنا لمن نحب بحقيقة شعورنا بالحب نحوه فإننا ومن ناحية أخرى سوف نكون على استعداد ودائما بأن نضحى من أجل رضائه.

وقد كان..

فقد بادرت أنا:

- صباح الخير يا مريم..

- لقد سبقتني لأنني كنت بأحاول الاتصال بك..

وبصوت كان به مزيجا من الانفعال والكبرياء واللهفة والحب والتردد، اعترفت لها بأنه موضوع السفر كانت كذبه بيضاء اختلقتها كي أحملها على التراجع عن عنادها، وأن مسألة السفر لا تعدو أن تكون لمدة عشرة أيام فقط لمهمة كلفت بها من هذا الوزير المتجهم دائما والعبوس باستمرار .. عشرة أيام فقط وأعود إليها.

ولم أتكلم معها عن السفر النهائي والأخير

وعلقت هي على تلك الكذبة قائلة:

وهل اتصالك بي يحتاج إلى سفريات وهمية؟

ولم أرد.. واستطردت هي في ثقة شديدة وغرور محبب إلى النفس..

- هل استطعت أن تتحمل بعادي عنك؟ هل مرت عليك ولحظة لم تفكر فيها في وتمنيت أن ننهى هذا الخصام وتبادر أنت بالكلام وتطلب الصفح والغفران؟ هل استطعت أن تقاوم رغبتك في سماع صوتي ولو ثانية واحدة.

كانت كلماتها سريعة ومتلاحقة وتشوبها نغمة التحدي

وسألتني أكثر من مرة

بتحبني؟.... بتحبني؟..

وقبل أن أرد كانت تسارع وتقول

- أنا عارفة الرد وبالتأكيد وأعرف صعوبة أن تنساني .. تنسى أميرتك المحبوبة؟

- أو لست أنت الذي قلت لي ذات مرة.

- وأنا يا أميرتي عبد

- بقصرك المسحور

- يا واحة من عطر

- يا بسمة من نور

أو لم تكتب لي في عيد ميلادي "إليك يا من أحبك حبا يتضاءل الكون والعالم بجانبه ويصبح عدما.. إليك يا من أحبك حبا لا أعتقد أن هناك من يستطيع أن يمنح حبيبته حبا مثل حبي وغراما مثل غرامي وأنك لم تتركي بقلبي شعورا لأحد سواك.

- أتحداك هل تقبل التحدي...

obeikandl.com

وحاولت أنا أخفف موقفي تجاهها بأي شيء أو بأية كلمات، ولكن دون جدوى.. ولم أجد إلا السكوت.

ويومها تمايل النسيم

كان يعجبني في كلامها ثقتها في نفسها... وفي مدى تسلط مشاعر الحب تجاهها على قلبي كذلك إحساسها هي بذلك، مما أكسب كلماته نوع من التحدي والغرور .. وكذلك الثقة..

والثقة والغرور صفتان يجب أن تتحلى بها المرأة التي تقع في حبها.. والغرور إذا لم نجده في المرأة لافتقدناه ولتمنينا وجوده في طباعها.. وهي لم يكن يعوزها ذلك، لا الثقة ولا الغرور المحببان إلى النفس وهذا نتيجة طبيعية لما يهبه الله للمرأة أحيانا من جمال راق وأنوثة وجاذبية وسحر طاغ لا يقاوم.

على العموم عيد ميلادها سوف يأت في العاشرة من يوليه وقد اتفقنا على أننا سوف نعيش هذا اليوم سويا أنا وهي كما تعودنا، ثم يأتي بعد ذلك ما يأتي من خطة.

وقد ابتعت لها هدية صغيرة ورقيقة كلفتني ألفا وخمسائة جنيه وساعات ولحظات من التردد والحيرة في الاختيار كانت الهدية عبارة عن لوحة ذهبية صغيرة محفورة على هيئة كف اليد الرقيقة وحولها إطار من الذهب المجدول وكتب على أصابع اليد حروف اسمها ونقش على راحة اليد هذه العبارة.

مع تمنياتي بحياة سعيدة موفقة "ثم الحرف الأول من أسمي وبجانبه التاريخ 10/ 7/ 2000 ولم أنس أن اشتري هدية لجرس كما قررت من قبل.

***

غدا سنكون معا .. أنا ومريم

اقترب الموعدان، الأول معها والثاني مع الخطة التي أنوي تنفيذها..

أما مع زوجتي فقد حرصت أنا أن تمر هذه الأيام في هدوء لحين الانتهاء من كل شيء واليوم لم يختلف مروره عن باقي الأيام في المنزل، إلا من نظرات كانت ترتسم في عينها راحت ترمقني بها بين الحين والآخر .. نظرات احترت في تفسيرها أو معرفة مغزاها.. وتعمدت طيلة النهار – وتحاشيا لأي أمر من شأنه أن يغير من خطتي تعمدت أن لا اقترب من جهاز التليفون على الإطلاق.. وأن أترك لها أن تتولى الرد على كافة المكالمات .. وكان التليفون موضوعا على منضدة من خشب الأبنوس الأسود في منتصف الردهة الصغيرة والموصلة ما بين غرفة النوم وصالة المعيشة تلك الردهة الشهيرة التي شهدت وقائع المحرقة القديمة لمجموعات البشر من قبل.

ولقد دق جرس التليفون أكثر من مرة وتولت هى الرد عليه، حيث أخبرتها أني لا أريد أن أزعج بأية مهاتفة تليفونية من أحد.

إن كل شيء قد تم ترتيبه مع مريم منذ أمس ، لا داعي لإثارة الشكوك حولنا، أنا لا أريد أن أموت قبل أن التقي بها .. وأيضا لا أريد أن أموت أكثر من مرة.

ومنذ الصباح بدا يداخلني إحساس بالانقباض اليسير صاحبته بوادر هاجس خفي بأن الأمور قد لا تسير وفق ما خطته لها.

تناولت الغذاء مع زوجتي .. ربما يكون هذا الغداء هو الغذاء الأخير الذي سوف نتناوله سويا قبل الانتقال.. وتظاهرت أمامها بأني أتناول طعامي بشهية مفتوحة بالرغم من أن ذهني كان مشغولا ومستغرقا في مراجعة دقائق أشياء كثيرة.

أخذت كوبا من عصير البرتقال ارتشفت منه رشفة أو رشفتين.

ومع الرشفة الثالثة دق جرس الهاتف وقامت زوجتي من على سفرة الطعام في هدوء ظاهر وتكفلت بالرد عليه. وحين عادت سألتها أنا وبطريقة آلية. عمن كان على الطرف الآخر فأجابتني وهى تزدرد طعامها.

كان صوتا نسائيا يسأل عن رقم خاطئ.

ولم أستطع أن أكمل باقي كوب العصير الذي مازال بين أصابعي، حينما وجدت السيدة قد أخذت تقلد الصوت النسائي الذي زعمت أنه كان على الهاتف طالبا رقما خاطئا.

كانت تتحدث بطريقة وبلهجة بل وبنبرات لم أعهدها فيها من قبل حيث كانت تتكلم وتقلد صاحبة الصوت تقليدا أخرجها من طبيعتها المعهودة وألبسها ثوبا وقناعا وصوت شخصية أخرى وكأنها قد دربت على هذا التقليد المتقن عشرات المرات من قبل، لدرجة أني أنكرت أن تكون الجالسة أمامي هى زوجتي، فلا الصوت الذي تتحدث به صوتها.. ولا تلك اللهجة لهجتها.. ولا هذه النبرات ولا تلك الطريقة سمعتهامن قبل.

كانت طريقتها وصوتها نسخة متقنة تماما ومطابقة للصوت الذي طلب الرقم الخطأ، علما بأنه وحسب مجريات الأمور فأنا لم استمع إليه، حيث أنها هى التي تولت الرد عليه ولست أنا.

كانت زوجتي تقلد وبطريقة مطابقة تماما مع صوت ولهجة وطريقة مريم.

أجل مريم.

وتوجست أنا خيفة وقلقا حين رأيتها قد أخذت تقلد مقطعا من كلمة أو كلمتين وبنفس طريقة مريم التي أحفظها عن ظهر قلب.

ورسمت ابتسامة باهتة على وجهي. وبذلت جهدا جبارا في السيطرة على نفسي وأخفيت مخالبي وأنيابي التي شعرت بأنهما قد استطالا فجأة وبطريقة لا أعرف

كيف، وحاولا أن ينشبان في رقبة وعنق السيدة التي تجلس أمامي على المنضدة ووضعت يدي في جيبي حتى لا ترى استطالة مخالبي.. وأغلقت فمي مخافة أن ترى أنيابي ومن ثم تظاهرت بأن الأمر لا يعنبني في شيء.

ولكن هيهات.. فقد واصلت زوجتي طريقة تقليدها لصوت مريم ووضح أن المسرحية لم تتم فصولها بعد، بل نحن في الافتتاح فقط

- تصور.. تصور هذه المكالمة الخطأ..
- ما الذي بها..
- تصور أن صاحبة الصوت تظن أن هذا الرقم يخص إحدى الكنائس وليس لمنزل من المنازل.

ثم أخذت السيدة من جديد وبطريقة أكثر إتقانا واقترابا من لهجة مريم وصوتها تقول

- كنيسة السيدة العذراء مريم؟
- ماذا؟؟.. هتفت أنا في انزعاج وحدة، وقد أحسست أن الأمور لم ولن تعود إلى سابق العهد بها.

قالت السيدة مسترسلة.

- نعم كان صوتا نسائيا أشبه بصوت العاهرات التي يودن الاعتراف وسألتني عما إذا كان هذا الرقم يخص كنيسة العذراء مريم فأفهمتها بأنها على خطأ. وأنها يجب أن تكون أكثر حرصا وإلا

ولم أعلق بأية كلمة

كنيسة السيدة العذراء مريم؟ كيف؟.. أن الطريقة واضحة والاسم لا شك ولا مرية فيه..

- ماذا حدث؟ وما دامت الأمور قد باتت واضحة وجليه لكل الأطراف، فلا معني لإخفاء شيء عن طرف دون الآخر، ولذا فإنه وفي تحد مني لزوجتي – ظاهريا على الأقل – أخذت جهاز التليفون واتصلت

بمريم وسألتها عن بعض الأمور العامة. ثم سألتها عن سبب اتصالها فأكدت أنها لم تقم بذلك مطلقا.

وبالطبع كانت صادقة، فلا معني لقيامها بمثل هذا التصرف في هذا الوقت بالذات..

إذن فأن السيدة قد بدأت تخطو خطواتها استعدادًا للحرب .. ولا شك أن الخطوة الأولى كانت تلك الطقوس الغريبة والأفعال والكلمات الغامضة التي كنت أراها تزاولها في غرفتها في الأيام الأخيرة ، تلك الطقوس التي كانت تشبه إلى حد كبير لبعض ما يقوم به السحرة في الهند وفي قبائل أواسط أفريقيا من آكلي لحوم البشر وكذلك قبائل الأمازون وتذكرت قول جرس لي حين قال أن أي خطة حربية وخصوصا من المحترفين لا تستلزم وقتا كبيرا في وضعها، حين كان يقصد في تهكمه هذا زيارة والدة زوجتي لنا.. وأن تنفيذ الخطة سوف يأتي في مراحل تالية لوضع الخطة.

وكنت أعلم على وجه اليقين أن الخطوة الأخيرة لن تأتي مطلقا من جانب زوجتي، لأني سوف أسبقها وأتخذها بنفس...

أجل .. هذا ما عقدت العزم عليه من شهور مضت ولن أحيد عنه مطلقا وحاولت أن أنام ولكن دون جدوى.

لا أستطيع أن أصف ما تملكني من مشاعر عقب وقت الغذاء الأخيرة مع تلك السيدة ولكنها أبدا لم تكن مشاعر الخوف أو الحذر أو الحيطة، ولكنها كانت شلالات من مشاعر التعاسة اللامتناهية أخذت تلفني وتدثرني وتحيط بي من كل النواحي وتسد على كافة المنافذ.. وأقسمت في هذه اللحظة أن لا أعيش في مكان تتواجد فيه هذه السيدة على الإطلاق.. بل ولن أعيش في عالم بأسرة تعيش هي فيه إذا كانت هي في الأرض ، فيجب أن أصعد أنا إلى السماء والعكس.

نعم.. نعم.. لم يكن ما عقدت عليه العزم منذ شهور ضربا من العبث إذن..

لم تكن السيدة تحمل لي أية مشاعر تنم عن الحب أو أي معنى من معاني الوداد..

هذا مؤكد ..

ولم أكن أشعر نحوها بأي شيء من الصفاء أو القبول.. هذا يقين..

كان كل ما يربطني بها شيء أشبه بمعاهدة عدم اعتداء مسلح.. معاهدة مؤقتة أبرمت بين طرفين وتنتهي بوفاة أحد أطرافها – أو كلاهما بالطبع- معاهدة أبرمت بنودها منذ أكثر من عشرة أعوام بمعرفة أحد الأشخاص من الموكل إليهم القيام بمثل هذه الأمور.

كان الرجل ملتحيا.. وكان يغطي رأسه بعمامة كبيرة ذات لون رمادي متسخ بعض الشيء..

وطلب مني الرجل الملتحي أن أوقع- وفي خشوع- على ورقة المعاهدة.

ففعلت..

ثم تمتم بكلمات غامضة لا أتذكر فحواها الآن- ولا أريد أن أتذكره- وطلب مني وفي لهجة خالية من أي معنى أن أردد كلماته خلفه.

فأذعنت ..

وساد المرح والحبور في أعين البعض... وتندت أخر بالدموع ومن الفرح أيضا!

وصفق البعض من الطرب والمسرة

وتبودلت الأنخاب

ولم أكن أعرف أو أتخيل وقتها أن هذه المعاهدة التي أبرمها هذا الرجل الملتحي ووقعت أنا عليها ذات مساء باهت اللون في أحدى ليالي فصل الخريف، أنها سوف تكون أقصر الطرق نحو الدار الآخرة.

ولكني عرفت الآن وازددت يقينا بأنها كانت أسرع الطرق

عرفت هذا مؤخرا.. وبعد فوات الأوان

ولقد كلفني هذا التأخير في المعرفة ثمنا باهظا

وتعجبت!! كيف كمنت كل هذه الكراهية في قلبي طوال هذه المدة تجاهها ثم انقضت فجأة- وحمدت الله أنه لا يوجد ما يربطني بهذه السيدة سوى تلك الورقة التي تحتوى فقط على بنودها تلك المعاهدة.

أفهمت السيدة عقب انتهاء الغذاء بأني سوف أركن إلى غرفة المكتب للقراءة والمطالعة وكنت أرغب في أن أخلو بنفس قليلا حتى لا ترى السيدة مقدار تعاستي وأيضا حتى لا تحاول قراءة أفكاري ، وأن أستطيع أن أراجع ما تبقى في هدوء.

وأفرغت تعاستي في هذه السطور

واسترحت قليلا.. وهدأت إلى حد ما آلامي .. وبردت بعض الشيء هواجسي وقلقي العاصف، خصوصا حين راجعت الأوراق والصور وتأكدت من أن العلامات السرية لم تتغير وأن الأوراق لم تعبث بها يد عابثة متلهفة لأخذها.

***

obeikandl.com

الحادي عشـــر من يوليـــه :

أمس كان لقائي الأخير مع مريم، كان أمس هو الموافق لعيد ميلادها الخامس والثلاثين، حيث ولدت هي في العاشر من يوليه عام 1965 الساعة الثانية والنصف ظهرا كما قالت لي هي يوما.

وأظن أن هذا اليوم الذي ولدت فيه هي، شهد أيضا ولادة كافة الزنابق والرياحين وازاهير الياسمين ورقائق الورد وأريج الزهر وعبق الفل كما قلت لها أنا ذات مرة- كانت تصغرني بحوالي خمسة أعوام ولكن أحيانا كنت أشعر بأنها هي التي تكبري في السن بتلك الأعوام الخمسة، وذلك حين كنت أغترف من حنانها الفياض ومشاعرها الجارفة التي كانت تحوطني وتغمرني بها، فكنت أشعر كأني مازلت في مدارج الطفولة وأن شعوري بالحنان الذي تحوطني به أنما هو كشعور الطفل خيال حنان الأم والدفء الذي تغمره به.

آه ما أحلى وأروع وأرق ذلك الشعور الذي تعطيه امرأة إلى رجل حين يحس ويلمس ويتذوق ويغترف من هذا الحنان ولو للحظة من اللحظات.

أنفقنا أنا وهي على أن اللقاء سوف يكون الساعة العاشرة صباحا في شقتنا الصغيرة التي كنت قد ابتعتها منذ أربع سنوات كي نقضي فيها أنا وهي لحظات السعادة التي كنا ننتزعها انتزاعا من عمرنا كله ونعيشها سويا أنا وهي.. لم تكن الشقة مساحتها كبيرة، فقط غرفة وصالة صغيرة ودورة مياه ومطبخ صغير، وقد قامت هي باختيار المنقولات اللازمة لمعيشتنا المشتركة في شقة الزوجية، كما كانت تسميها هي مازحة والتي احتوت على غرفة نوم صغيرة وصالة استقبال وبجوار السرير الذي في غرفة النوم وضع كرسي من خشب الأبنوس ذو أرجل نصف

دائرية مقوسة اشتريته أنا خصيصا كي تجلس هي عليه واجلس وأنا بجوارها أهدهدها فيه.

ولم تكن مقابلاتنا أو لقاءاتنا كثيرة، نظرا للظروف والقيود، ولذا فقد فرضنا على أنفسنا نظاما تحوطه بعض السرية والحذر، حين كنا نهرع أنا وهي إلى هذا المكان، وكثيرا ما كنت أتغيب أنا وهي عن الذهاب إلى وظائفنا يومين أو ثلاثة أيام وأحيانا خمسة ونتعلل ببعض الحجج من قيودنا ومن ثم نأوى إلى هذا المكان ونعيش في عزلة عن كافة العالم إلا من مشاعرنا وأشواقنا فقط، ليس خوفا أو رهبة ولكن ضنًا على أنفسنا أن نضُيع لحظة من عمرنا لا أنظر فيها إليها أو تلمس يدي يدها، كذلك فقد كانت هذه العزلة وتلك السرية عن العالم بأسرة كثيرا ما تشعرنا بالسعادة الغامرة مع إحساسنا بأن محاولاتنا في التخفي عن أعين الناس كانت تشيع في أنفسنا سرورا خفيا وكنت أرى ملامح الفرحة الطفولية ترتسم على وجهها كلما استترنا أو تفادينا أعين الناس بقدر الإمكان وكأننا نقوم بمغامرة صبيانية من أجل ذلك الحب الذي يربطنا سويا.

وكذلك فقد كنت أشعر بمدى السعادة الغامرة والفرح الطاغي اللذان يبدوان عليها، حين كنت أقدمها في بعض المواقف وإلى بعض الناس وبعض الأماكن على أنها زوجتي.. وأذكر أنها في مرة من هذه المرات، حين تقابلنا مع الوزير الحالي وكنا في مدخل حديقة النادي وقدمتها له بأنها زوجتي ولقد شعرت بها ساعتها وقد أمسكت بكلتا يديها بساعدي وتتأبطني وتزداد التصاقا بي في فرحة مغمورة بالدهشة الصبيانية.. وقال لنا الوزير ساعتها كلمات تطري ذوقي في الاختيار.. وحمدت الله ساعتها أن الوزير عني بكلمات المجاملة ولم يعتن بأية استفسارات أخرى.

كنا نعيش الحياة بكل ما فيها من غبطة وفرحة ومسرة.

وكانت هي الحياة بكل ما فيها من نضارة وتدفق وجمال وحب...

ولم أكن أكذب على الوزير يومها فمنذ العام الأول، عام الحب بيني وبينها – ونحن قد تأكدنا أنه من المحال أن تمضي بنا تلك الحياة دون أن يكون كل منا للآخر، فارتبطنا بذلك الزواج الذي أتفقنا أنا وهي أن يكون زواجا عرفيا لحين إعلانه وتوثيقه بطريقة رسمية.

ولم تكن هي ترى في إلا حبي لها.. ولم تكن تطلب أكثر من ذلك- وهذا كان يؤلمني ..

ولم أكن أنا أرى فيها إلا أن كياني يذوب في كيانها ويمتزج به.

أواه يا مريم..

كيف نبتت كل مشاعر الحب تلك وولدت في قلبي بك؟..

كيف تدفقت كل فيوض الحب والحنان وعدم الاسغتناء وتعاظمت بشكل خطير نحوك أنت...

هل جاء هذا الحب صدفة من الصدف؟؟ محال.. أن الصدفة لا تخلق حبا ولا تُنمي حنينا ولا تذكي لوعة ولا ترعى شوقا.. لا شيء يوجد هذا الشعور الرهيب بعدم الاستغناء وبامتزاج الأرواح إلا قوة هائلة.. قوة تستطيع أن توجد الأشياء والناس وتخلق المشاعر وتلقي بها في الصدور، ومن ثم ترتب الأحداث وتهيء التربة المناسبة لها، كي تنمو لا.. لا.. لم يكن الأمر صدفة عارضة وأن بدا هكذا.. وإنما رتب بواسطة محرك وباعث وخالق لكل هذا.. وفي ومضة جميلة حالمه.. وكيف لا... وقد رتبت كافة جوانبه بأمر من الخالق المبدع.. ومع الخالق ينتفي السؤال وتستحيل التساؤلات.

لن نستطيع أن نسأل أحدًا كيف أحب هذه المرأة؟.. ولماذا المرأة هذه بالذات دون باقي نساء العالم.

لقد وجدت مشاعر الحب في القلوب قلوبنا منذ قديم الأزل.. قبل أن يخلق الله الناس وتتنوع الأجناس.. قبل أن تخلق الأكوان والأبدان، إن البداية أنا أعرفها يا مريم وإن كنت أنت تجهلينها في البدء كان الوعد.. وكان المكتوب .. كان القدر.. وما خط فيه وما سطر به.. في البدء وجد الأمر الإلهي.. قال الله تعالى: تعالوا فأتينا من العدم.. وتواجدنا من لا شيء .. ثم قال تحابوا فانجذبت قلوب وانصاعت أفئدة لهذا الأمر الإلهي وتآلفت أرواح.. وتلاقت مشاعر وأهواء.. كنا في حضرة الله القدسية أرواح وذرات في عالم غيبي .. ذرات وأرواح لا ترى ولا تحُس .. ولكنها ترى وتحسُ .. وأرواح لا يشعر بها ولكنها تشعر ببعضها البعض.. لم تكن قد تجسدنا في أجساد أو قوالب بعد.. ولكن الله قدر وأمر.. فأسرعت كل روح وتعلقت بالروح الذي تهفو إليها وتميل وتصبو نحوها.. ومن هنا وجد الحب والألفة بين الأرواح، فمنذ البدء وجد الشوق والحنين بين كل روح وأخرى، قبل أن يخلق الله الخلق.. فالبداية معروفة ولو لم نكن نعلم عنها شيئا أو ندركها .. فقط كنا في انتظار من يميط اللثام عن شيء كان موجودًا من قبل ومتواريا في خفايا اللاشعور منذ ملايين من السنين.. وهذا ما يفسر لنا، حين نتقابل مع امرأة وتقع في هواها من أول نظرة.. حين يحب الرجل امرأة أو تحب المرأة رجلاً. فإن كل منهما يشعر أن هناك ذكريات مشتركة بينهما، يشعر الرجل أن هذا الوجه شاهده من قبل.. وأن هذا القلب الذي يهفو إليه إنما جمعته به من قبل ذلك مشاعر شتى.. ويحس أن هذه المشاعر الحانية قد لمست حنايا قلبه من قبل...

وأن هذا الحب قد عرفه قبل ذلك.. ولكن في زمن مجهول الهوية عنه.. زمن موغل في القدم ضارب في أعماق الماضي السحيق.. بل وقبل أن يخلق الماضي السحيق أصلا ويشعر الرجل أن رعشات الحنان الذي تشي بها أنامل حبيبته إنما قد لمسها من قبل.. وأن هذا الصوت قد استمع إليه من قبل.. وأن تلك النظرات الحانية قد عرفها وخبرها من قبل.. ولكن أين؟ وكيف؟ ومتى؟ لا يعلم.. توجد ذكريات

مبهمة المعالم غامضة التواريخ مطموسة الوقائع مجهولة الأسماء، تجعل الرجل أو المرأة في حيرة من أمرهما.. فيقول كل منهما لنفسه أن هذا هو الحب من أول نظرة.. ولكننا لا نسأل أنفسنا إذا كان هذا هو الحب من أول نظرة فلماذا هذه المرأة بالذات؟

لقد تعارفنا منذ القدم.. وتلاقت روحانا منذ الأزل.. منذ أن كنا في حضرة الله، تلك هي البداية، وتحابينا من قبل، لم تكن هي جديدة على قلبي ومشاعره ولا عن أعيني ورؤيتها- أجل لقد ربط الحب بيني وبينها منذ قديم الأزل ووجدت بيننا تلك الذكريات القديمة والغامضة والغير واضحة المعالم والموغلة في القدم.. لقد رأيتها من قبل.. هذا مؤكد.. قبل أن يخلق الله الخلق كنا في حضرته القدسية.. كنا أنا وهي ضمن شهوده وموجوداته وضمن أرواحه ومن بين ذراته المتحابة والمتآلفة .. حين قال تعالوا.

وكان هذا أول عهد الحب بيننا.

وهناك كانت أولى ذكرياتنا.. صحيح إنها مطموسة المعالم ومبتورة التكامل ومبهمة الوقائع وغائمة وغامضة الملامح، ولكن أحس بها في مجملها دون تفاصيلها.. تماما مثل الذي يستنشق زهرة في ظلمة الليل، لا يراها ولكن يحسها ويتخيلها من الأريج المنبعث منها.. تلك الذكريات الجميلة والتي سرعان ما تنبثق في خيال كل محب تجاه محبوبته في أول لقاء بينهما يؤكد وجود هذا العهد القديم.. عهد أول حب جمعهما منذ فجر الأزل.

إن المشاعر التي سوف تهب على قلبي بعد ذلك وبقوة عاتية وفي لحظة خاطفة- لحظة تولد الحب.. إنما تؤكد كل ذلك – تؤكد أن لحظة تعارفنا لم تكن الأولى، بل سبقتها لحظات أخرى منذ ملايين السنين الموغلة في الماضي السحيق.

كيف تولدت وتشعبث وتقوت الآف المشاعر في داخلي مرة واحدة.. كيف هبت الرياح عاتية على قلبي منذ أول لقاء بيني وبينها- والذي حدث بالصدفة- ما هذه الانفعالات التي تتولد في قلب المرء وتمتلك حواسه وكيانه وتفكيره لمجرد

رؤيته لوجه امرأة فيشعر تجاهها بحب جارف ويفضلها دونا عن نساء العالم؟ وقبل أن يعرف من هي أو من تكون؟ أو هل ستبادله الحب أو لا.

وكيف يهوى امرأة ويعشقها وهو المتحرز والمتخوف من الوقوع في الحب بل والمثقل بكافة مشاكل ومشاغل الحياة؟

الحب...

هل كان كل ما تولد في قلبي تجاهها هو الحب- والحب فقط- حين تقابلنا أول مرة في مطار القاهرة الدولي وبالصدفة.

محال.

لقد كانت ثورة عارمة وتيار جارف اعتراني وهزت موجاته كياني وأخذتني في دوامة من السحر اللانهائي.

كانت قوة شديدة أخذتني من كل شيء وشدتني إليها هي ، وهي فقط.

ولم يكن شعور بالحب فقط.. بل وبالحنان المفعم بالعطف عليها وأنا أعلم وأعرف ما سوف يجره هذا الحب عليها.. وأيضا علي أنا. وكذلك على آخرين غيري وغيرها.

وكانت هذه الصدفة هي بداية عهد الحب الثاني بيني وبينها.

العهد الأول حين كنا في عالم غيبي وغير مرئي وكان تآلف أرواح فقط.. أما العهد الثاني فقد كان تلاقي أرواح وأجساد وفي عالم محسوس.

كان الموعد كما اتفقنا أنا وهي الساعة العاشرة صباحا وقد وصلت إلى الشقة في الساعة التاسعة والنصف.

وكنت قد حملت معي في السيارة كل ما سوف نحتاجه أنا وهي خلال اليوم، من مأكولات وحلويات ومشروبات مثلجة ... الخ.

أما القهوة فقد تعودنا أن تقوم هي بإعدادها لي حين تصل وكانت تقول لي إنها تجد سعادة غامرة وهي تعد لي فجان القهوة.

كانت الشقة نظيفة ومرتبة حسب آخر مرة تلاقينا فيها أنا وهي.. وقد قمت بوضع المأكولات في الثلاجة وأدرت جهاز التكييف حيث كان الجو شديد الحرارة بصورة غير طبيعية وقد دق الهاتف أكثر من مرة ولكن تحاشيت أن أقوم بالرد عليه.

وحين ازداد رنين الهاتف بطريقة مستمرة ومتواصلة، تولد لدى شعور بأنه من المحتمل أن تكون هي على الطرف الآخر ولذا فقد تغلبت على خوفي وعلي توجسي ورفعت سماعة الهاتف إلا أني استمعت إلى صوت طفل صغير على الطرف الثاني حيث كان على ما يبدو أنه يعبث بآلة التليفون في منزله، وحمدت الله كثيرا أن رقم التليفون لا يعرفه أحد على الإطلاق إلا أنا وهي فقط.. وكذلك هذا المكان.

وفُتح باب الشقة في هدوء ودخلت هي، وبدت وهي تخطو أولى خطواتها ، كالقمر الجميل حين يظهر رويدا رويدا من خلف غلالة من الغمام أو كالفجر الضحوك حين يسفر.. أو كالنسيم حين يسري أو كالطيف الساحر الرقيق والحالم، الذي يشعرك بطلاقة وقدرة الخالق في إبداع خلقه.

وسرعان ما امتلأ جو المكان بأريجها.. وهواء الغرفة بسحرها وعبيرها الغامض الممتزج بسحر وأنوثة صباحته.

- ولم أدر ما أقول.

وكأنما كانت تلك أول مرة أراها فيها وألتقى بها.

وماتت الكلمات على لساني.

وهتفت هي في تساءل مرح.

هل أستمر واقفة؟

وأفقت من دهشتي وأمسكت بيدها الرقيقة في رفق وهدوء وأجلستها على الكرسي ذي الأرجل المقوسة، وجلست أمامها أتأملها.

وتوقف الزمن برهة.

كانت جميلة وساحرة.. جميلة ذلك الجمال الساحر الأخاذ، الذي يستطيع أن يأسر المرء في هدوء ويضفي على حياته التي يحياها جوا من البهجة المتناهية والربيع المتدفق والجاذبية الشديدة نحوه... كانت كالزهرة النضرة التي تجعل من النظر إليها متعة للأعين.. وأكثر من ذلك كانت امرأة بكل غموضها وسحرها وبكارة أنوثتها واندفاع مشاعرها وانطلاق القوة والحيوية في دماءها وروحها، وأيضا بكل الصفات والموروثات المتوارثة منذ آلاف السنوات والمختزنة في ملايين النساء منذ أن خلقهن الله على وجه الأرض وأودع فيهن صفات الأنوثة والسحر والدلال وكذلك الدهاء والذكاء الأنثوي المتوارث والمكرس لإخضاع الرجل.

أجل كانت هي نتاج وعصارة ورحيق كافة تلك الصفات والمحاسن المتوارثة في بني جنسها وبالفعل فقد أخضعتني وتملكتني ولم يكن في مقدوري سوى التسليم وكنت سعيدا بانتصارها بقدر ما كانت هي تزهو أمامي بهذا الانتصار حينما كانت تتساءل:

- بتحبني؟

وتمضي مسترسلة في كلامها دون أن تهتم بسماع إجابة هي متأكدة من فحواها.

- قالت إن سائق التاكسي الذي أقلها إلى هنا كان يختلس النظرات إليها في مرآة سيارته الأمر الذي كاد أن يتسبب في اصطدامه بأكثر من سيارة وقالت أنه أدار لها راديو السيارة وأوقف مؤشره على أغنية جميلة لفريد الأطرش كانت كلماتها تقول.

- يا أحلى .. أحلى شيء في الكون يا روح الروح يا نور يا عبير

- وقالت إنه باغتها بسؤاله عما إذا كان قد رآها أو تقابل معها قبل هذا اليوم .

- وحين إجابته بالنفي قال متعجبا.

ولكن أنا متأكد أني رأيت حضرتك قبل هذه المرة.

وقالت إنه أخذ يهز رأسه بين الفنية والأخرى كأنما يحاول أن يتذكر شيئًا ما ثم قال لها أخيرًا.

- آه.. آه لقد تذكرت . . لقد تذكرت ، لقد شاهدت من قبل فيلما باسم امرأة جميلة للممثلة العالمية جوليا روبرتس وإني على يقين أن جمالها يحاكي ويشابه بل ويطابق إلى حد كبير جمالك وكأنكما توأمين

- قلت وقد بدأ الغضب يتنامى في داخلي

ولماذا لم تتركي هذه السيارة وتلتحقي بغيرها.

نظرت هي إلي مستغربة هذا السؤال الساذج وقالت.

- لماذا ؟ لأني متأكدة أن السائق الآخر كان سوف يقول لي مثل هذا الكلام.. وربما أكثر منه.

- وسألني فجأة:

- بتحبيني؟؟

- ولم أجد جوابا يستطيع أن يعبر لها عن مدى حبي لها.. واكتفيت بالصمت والنظر إليها.

واكتفت هي بهذه الإجابة الشاملة.

قدمت لها مشروبا مثلجا وقامت هي بأعداد فنجان القهوة الخاص بي.

وحكيت لها عن المكالمة التليفونية الخاطئة التي جاءت منذ قليل.

وفي احتفال بسيط أوقدنا فيه أنا وهي ست شمعات هي عمرنا سويا معها، وقدمت لها هدية عيد ميلادها والتي كنت أحضرتها إليها وكتبت لها الإهداء الآتي:

إلى الوردة العطرة- ولقد ولد الحب في قلبي لك ومحال أن تخبو جذوته.

يوليه2000

***

وأعجبت هي جدًا بالهدية وكذلك بالكلمات التي كتبتها وبالعبارة المحفورة على قطعة الذهب.

- وقالت بإذن الله عيد ميلادي القادم نحتفل به في منزلنا سويا.

وحرت في الإجابة

وعلى الغذاء سألتني أكثر من مره.

- فيه حاجة شاغله تفكيرك؟

- لا.. لا يوجد شيء

- لا.. هو بالتأكيد فيه حاجة مستحوذة على تفكيرك.

- أنت.. أنت فقط بالطبع

- وتلاقت أعيننا .. ولكني لم أستطيع الصمود فأطرقت بناظري إلى الأرض.

- أنت فكرك شارد

- إرهاق .. إرهاق فقط.. على فكرة أنا اتفقت مع مالك العمارة على أنه يحرر عقد جديد بملكية هذه الشقة وينقلها باسمك أنت...

قالت وقد وضح على نظراتها أثر هذه المباغتة.

- ما السبب في هذا التصرف المفاجئ؟

- لا شيء.. فقط المطلوب توقيعك على العقد وأنا سوف أنهى كافة الإجراءات.

- إذا كان في رأيك أن هذا إثبات لحبك لي.. فأنا متأكدة من مدى حبك.

- لا شيء.. ده موضوع عادي ولا دخل للحب أو للمشاعر فيه قاطعت أنا كلماتها.

- وقلت محاولاً تغيير الموضوع.

- على فكرة.. جرس بيسلم عليك.

- أخباره أيه.. وأخبار شكرية أيه.. وأخبار زوجته أيه حصل طلاقهم وإلا..

- لا .. لم يتم الطلاق .. لأن في شرعهم الطلاق يحتاج إلى معجزة كي يتم أو على الأقل يستلزم وقوعه حدوث كارثة ما.. وربما يحتاج للاثنين معا.

وسألتني فجأة.

- السفر ده أكيد؟

- أكيد.. للأسف أكيد؟

- أو ليس من الممكن إلغاؤه أو تأجيله

- ده محتوم.

- قالت إنها سوف ترسل من يقوم بتنظيف الشقة باكر أو بعد باكر حسب الأحوال.

- على العموم دي شقتك وأنت حرة فيها.

وقالت إنه في المستقبل يجب أن نعيش في شقة تكون أكبر من هذه الشقة .. على الأقل تكون مكونة من أربع حجرات أو خمسة.

- بالتأكيد.

- ولازم تكون فيه غرفة مخصصة لـ.

- بالتأكيد لمريم الصغيرة.

وقالت أنها لا تريد العودة إلى منزلهم .. وقالت أنا بأشعر أن مكاني الطبيعي هنا... هنا وبين أيديك وليس في أي مكان آخر.. وقالت في لهجة يشوبها الألم.

شوف حل... شوف حل..

وقالت أنها قرأت في إحدى النشرات المخصصة أن الاعتياد على أخذ حبوب منع الحمل قد يكون له بعض التأثيرات الجانبية الضارة على حياة من يتناولها وكذلك على الأجنة فيما بعد.

قلت مرتاعا:

- ده غير مؤكد.

- غير مؤكد أو مؤكد.. شوف حل.. شوف حل وإلا منتظر معجزة أو كارثة زي جرس.
- على العموم في القريب العاجل لن تحتاجي .. لن تكون هناك حاجة للحبوب أو لغيرها.
- يارب.. على فكره فيه خبر عاوزه أعرفه لك.. لكن أفضل.. أفضل أبقى أقوله بالتليفون.

ونظرت إلى الساعة المعلقة على الحائط والتي، وكانت تشير عقاربها إلى التاسعة مساء وقالت:

الوقت جرى بسرعة وقالت إنها حين كانت مع شقيقها في سيارته يوم أن تقابلنا أمام محل العطور قال لها شقيقها وهو يشير ناحيتك بغيظ: هو ليه مركز عينه ونظراته عليكي من أول ما شاهدنا.

وقالت إنها أجابته وبثقة شديدة ودون خجل: لأنه بيحبني.. وقالت إنها كادت أن تعترف لشقيقها بالحكاية كلها إلا أنها لم تشأ أن تقول له عن شيء قبل أخذ رأي.

وسألتني:

- هل يوجد لديك مانع.

إن ما يرضيك يرضيني.. وما يفرحك سوف يفرحني.

ووقفت لتغيير ملابسها استعداد للعودة. ولا لاحظت أنا انتفاخ جسمها بعض الشيء وحين وجدت هي في عيني نظرة تساءل غضّت بصرها بعض الشيء وتساءلت كي تقطع علي أفكاري.

- ها أرجع أزاي؟
- أنا ها أوصلك لغاية المنزل.
- وأطفئنا جهاز التكييف وكافة الأنوار ومحبس الغاز.. ونزلنا سويا.. وصممت هي على أن تتأبط ذراعي وتستند عليه أثناء النزول على السلالم

وحتى المكان الذي أوقفت فيه سيارتي الصغيرة .. كما طلبت مني أيضا أن نقوم بالتمشية قليلاً في بعض الشوارع.

ووافقتها على مضض.

- أريد أن يراني كافة الناس وأنا معك وليحدث ما يحدث... فيه مانع؟

- لا .. لا مانع.

- وأخذنا نسير أنا وهي في دوائر صغيرة متشابكة .. وبدون هدف.. فقط كي أسعدها.. وأيضا لأني أعرف أن هذا آخر العهد بيني وبينها.. بل وبيني وبين الحياة كلها.

لم يعد هناك شيء يهم.

وسألتها وأنا أحاول جاهدًا أن أوازن بين خطواتي الكبيرة والسريعة. وبين خطواتها الصغيرة الرقيقة.

- أنا لي طلب.. ممكن؟.

- آه .. طبعا.. أطلب؟

- مهما حدث مني ومهما يحدث فأرجو أنك تتأكدي من مدى حبي لك.

ونظرت هي في حيرة وتساؤل

ووصلنا إلى مكان السيارة بعد أن انتهينا من هذه الجولة الصغيرة ولم نستغرق وقتا للوصول إلى منزلها كما لم نتبادل أي حديث أثناء العودة.

- كان كلانا مُثقل بأشياء مغرقة في لجة شديدة الدوار.

هي مثقلة بالحيرة والتساؤل والفرحة والأمل والخوف من المستقبل.

وأنا ممتلئ باليأس والألم الممض والحزن القاتل المقض.

وودعتها.

وأخذت أسير بالسيارة بدون مقصد أو هدف أو غاية يرهقني السؤال.

إلى أين..؟

وإلى متى..؟

وأوقفت سيارتي وأخذت أسير محاذيا لشاطئ النهر وفي نيتي أن لا أبتعد كثيرًا عن المكان الذي تركت فيه السيارة.

واجترت أحد الكباري المطلة على نيل القاهرة.

كانت موجات النهر تنساب في هدوء ساحر، متدفقة ودافقة بالحياة منذ ملايين السنين وسوف تمضي إلى ما لا نهاية ، دون أن تسأل نفسها:

إلى أين...؟

وإلى متى...؟

كانت المياه تمرح على جانبي النيل وتداعب صفحتيه والسيارات تمرق مسرعة فوق جسوره وأرصفته المقامة فوقه وعليه وتعبر شريط المياه الفضي الذي مافتئ يتلألأ كحبات اللجين اللامع والمتناثرة حباته تحت أشعة القمر المكتمل اللمعان..

وتعالت أصوات والحان تردد أغنيات شائعة تحكي كلماتها عن لواعج وألم البعاد ولوعة الفراق.

اخترت أحد المقاعد الحجرية المتناثرة على شاطئ النهر وجلست عليه.

كانت روحي تسبح في ظلام دامس.

وقلبي وعقلي يسقطان في اللاوعي.

بينما كان المكان حولي يموج بالحياة وينبض بالحركة والصخب.

ومر أحد الأشخاص وسألني في لهجة مترددة بعض الشيء:

سيدي.. أين الطريق المؤدى لـ..

وقاطعته مسرعا:

لا أدري لا أدري إني غريب عن هذا المكان .. بل وغريب عن..

ودهش الرجل وغادرني في خطوات بطيئة لكنها مرتابة.

وشيعته أنا بنظرات غائمة لم يرها ولم تره.

واختلطت أصوات خرير مياه النهر بأصوات الغناء والموسيقى القادمة من كل حدب وصوب.

ومن بعيد تعالت نبرات صوت بجهر بآيات من القرآن الكريم طاغية على كل ما عداها من أصوات.

وأخذت موجات النهر تنساب في هدوء وسحر.. كانت المياه والكون والنسيم وباقي الأصوات- أصوات الحياة الدافقة تتناغم في موسيقى رقيقة حالمة، تنبعث أصداؤها وتتماوج كلما مالت صفحة النسيم كي تقبل موجات النهر المتلألئ مرددة أصداء لحن مهذب رقيق، كانت نغماته كأنها أنات روح تُريد أن تحطم قيودها الأرضية وتسمو إلى أعلى..

أما أنا فقد أحسست برعشة داخلتني منذ أن تركت مريم، بدت يسيرة في أول الأمر ثم أخذت تتنامى وتقوى وتشتد كأنها الحمّى المجتاحه.

تطلعت إلى السماء فوقي.. السماء صافية .. ونجومها تلمع في زهيان وفرح مسربل بالخشوع والجلال والرهبة، وكأنما راحت هي الأخرى تستمع إلى ترنيمة الكون كله، وأخذت عناصر الطبيعة حولي في الإنصات آخذة وفي هدوء رسم صورة جميلة ورائعة للكون كله في هذه اللحظة – لحظة أو لحظات شيء ما بدأ في الولادة من جديد داخل قلبي، شيء ما أراد قبل أن يولد – أو قبل أن يحل في المكان أراد أن يتأكد من أن المكان سوف يكون مهيئًا له.. شيء ما .. لست أدري كنهه أو ما هيته بدأ يحل وفي خفوت – بداخل قلبي وكياني ودمي.. وكأنما أراد لعناصر الكون كلها أن تشهد مولده.

وسكتت إلى حد ما أصوات الحركة والضجيج المنبعثة بفعل حركة الحياة والمخلوقات.

كان هناك شعور مبهم في داخلي... شيء ما ألقيت بذرته في أعماقي، ولكن لم تنبت هذه البذرة ولم تتفتح أوراقها بعد.

كانت هناك تهويمات غامضة ورؤى مبهمة وأشياء كثيرة خفية ومتضاربة ومتباينة ومتداخلة ولم أعرف أيهما سوف يقوى ويشتد عودة ومن ثم سوف ينتصر عما عداه من أفكار أخرى.

وانتابني شوق شديدًا كي أتحدث مع مريم.. ولم أدر لماذا؟ ولم تكن حولي أماكن تتيح لي تسهيل رغبتي في الاتصال بها.

أذن .. في آخر الكوبري .. لا ريب أني سوف أجد أحد المحلات العامة وبها تليفون.

وغادرت المكان مستأنفا سيري

وأحسست أن مسافة الكوبري قد طالت بعض الشيء.

نعم.. نعم إن كمية السعادة التي نلتها أمس محال أن توصف .. سعادة غامرة احتوتني وجعلتني أهتف لنفسي.

إن الدنيا مليئة بالبهجة والصفاء وتموج بالحب والسرور والعطف والحنان.

- فلماذا...؟

- لماذا.. نقوم نحن بتعكير هذا الصفو وندمره.

- نعم.. لماذا..؟

أن هناك حلولا كثيرة ومنطقية ولن تخلو من قدر من الرومانسية أيضا لمثل هذه الحالات.

فلماذا....؟

لماذا نترك كل هذا بإرداتنا ونرحل؟

لماذا أرحل...؟

لماذا....؟

بل ولماذا يجب على أحد منا أن يرحل أيضا..

إن الفواصل والمسافات بيني وبين زوجتي موجودة بلا شك، بل وعلى وجه اليقين، فلماذا لا أواجه هذا الواقع وأقرر أنه من المحال على اجتياز تلك الفواصل واختزال تلك المسافات لماذا الرضوخ لهذا الواقع الأليم ومن أجل من؟

ومن أجل ماذا..؟

لماذا لا أتخذ قرارًا بالانفصال واسترداد حريتي مرة أخرى – نعم الحرية المفقودة أو الموءودة وأن استكمل باقي حياتي وأعيش مع من أحب ومع من أهوى؟

لماذا تعذيب النفس..؟

لماذا الهروب..؟

لماذا أن يحدث ما انتويه منذ أكثر من عشرة شهور..؟

لماذا أجلب الحزن والشقاء على من أحبهم وعلى من أريد أن أجنبهم أيه دمعة حزن أو أدفع عنهم آهة ألم.

لماذا أدفع حياتي ثمنًا رخيصًا كي تستريح زوجتي وتقرعينا وتهنأ بالا.

إنه ثمن غال أدفعه، وفي مقابل ماذا ؟ لا شيء.

ولماذا شرعت الشرائع الطلاق بين الزوجين إذا لم يكن هذا الوضع الذي أعيشه هو الذي شرعت الشرائع الطلاق من أجله.

لقد شرعت الشرائع الزواج وأباحته وأجازت الطلاق ونظمته وكان هذا من وحي المشرع الأعظم.. سبحانه .. وتعاليمه.. ولكن وفي كافة الشرائع والأديان السماوية لم يبح أحدًا قتل النفس لا انتحارًا ولا صبرًا ولا تجلدًا بل وحرم ذلك على الناس كافة.

فلماذا....؟

وربما كانت زوجتي ترغب هي أيضًا في ذلك، أي في وقوع الطلاق بيني وبينها .. وأن كنت غير متأكد من ذلك.. ولكن الذي أصبحت على يقين منه، أن تلك الأفكار والحلول الميتافيزيقية والتي دارت وعاشت واستقرت في مخيلتي وأفكاري طيلة الشهور الماضية- أقول إني أصبحت على يقين الآن أن كل هذا لا داعي له الآن... كذلك لم يكن له داعي من قبل ذلك. إن الحل يسيرٌ ومشروع.

لا... لا.. لا داعي للانتحار.. لا يوجد تبريرٌ لتلك الأفكار الشاذة التي تسلطت على ردحًا من الزمن وكادت تدفعني دفعا لتنفيذ تلك الفكرة الشاذة والمجنونة بل والمخيفة.

ربما كانت تلك الفكرة قد تولدت من تأثير قراءاتي الكثير ورؤيتي المتصلة للأفلام والقصص التي كنت أدمن قراءتها ورويتها وسماعها والتي تجري وقائعها بنفس ترتيب ورؤية مؤلفيها- لا بحسب مجريات الواقع المحسوس.

لن أفجر الأحزان مرة واحدة لزوجتي.. بل بالتدريج، وعلى خطوات.

الخطوة الأولى، التمهيد لوقوع الطلاق بيني وبين زوجتي لأن كل منا لا يميل إلى الآخر، هذا واقعٌ نعيشه منذ سنوات وحتى وقبل أن أرى مريم وأقع في هواها فإنه لم يوجد شعور يربطنا سويا لا مني حيالها ولا منها حيالي.

ثم وبعد شهرين أو ستة أشهر تكون حرارة المفاجأة قد بردت حدتها.

أتزوج من مريم.

أو أعلن زواجي عليها ويظهر حبنا وزواجنا الخفي إلى الوجود وفي العلن.

لماذا...؟

لماذا أخالف ما أمرنا الله به.. لماذا أقتل نفس بغير حق- نفسي أنا.

لماذا...؟

لا... لا... لقد أعطانا الله – خالق الحياة تلك الحياة ووهبها لنا كي نحياها فكيف نردها- إليه وفي جحود – ونقابل هذا العطاء بالرفض والنكران والإعراض.

لا.. لا.. لقد كنت مجنونا لاشك.

أو لم يقل لي الشيخ في التليفون إن هذا محرمٌ..؟؟

وهل كنت أنا في حاجة إلى هذا النذير...؟

إن الحياة جميلة ومبهجة وحانية، فلماذا نضفي عليها لونا ضبابيًا وتلبسها عنوة ملابس السواد والكآبة والوحشة.

لماذا السقوط في وهدة اليأس الذي لا يوجد تبريرٌ منطقي لحدوثه والسقوط فيه.

نعم... نعم الحياة جميلة ومبهجة ومسعدة، أو ليس هذا ما قلته وأسررت به إلى رشيدة في محنتها؟ ومحنتها كانت مشابهة لمحنتي، إلا من بعض الاختلافات البسيطة وغير الجوهرية.

هل يعقل أن تكون رشيدة- وهي الفتاة الصغيرة- أقوى وأشد صلابة مني ؟

محال..

هل يعقل أنها لم تكن تمتلك عشرة جنيهات كي تشتري بها مسحوقًا مميتًا مثلما فعلت أنا.

محال...

رحماك ياربي...

مد لي يد العون يا رب.

أرني الطريق.

لقد قال الشيخ من قبل توكل على الله.

حين سألته أيهما أختار.

ولكنه لم يدلني على أول الطريق.

وترك لي أن أختار.

ولم يكن الاختيار صعبا.

بل كان شديد السهولة.

وكان الطريق واضحًا لا لبس فيه ولا خفاء ولا غموض... ولكني لم أتبينه.

لقد كنت مخبولاً ولا شك.

طلق زوجتك وعش سعيدًا ليكن هذا الشعار عنوان المرحلة الأولى.

وأعلن زواجك على من تهوى وعش باقي عمرك سعيدًا.

وهذا سيكون شعار المرحلة الثانية.

كانت رأسي ميدانًا لحرب ضروس اشتد أوارها وضرامها منذ أن تركت مريم أمام منزلها وفي يقيني أن هذا آخر العهد بيني وبينها بل وبين الحياة بأكلمها.

هل يعقل هذا..؟

هل يعقل أن أجعل من عمري ومن سعادتي أنا وهي قربانا على مذبح الأعراف والقيود الاجتماعية التي تحكمني أنا وزوجتي وتحكمنا وتربطنا وتشدنا بسلاسل غليظة مع صخور المجتمع؟

محال... أجل محال؟

ولعنت في سري ذلك الرجل الذي أعطاني الورقة المطبوعة والتي كانت تحمل شعار محلات الدجاج الشهيرة ذات التوليفة الأمريكية الصنع والتي كان يعلوها صورة هذا الرجل ذو القميص الأبيض وربطة العنق الزرقاء الغير مكتملة والنظارة التي تخفي

نظراته الماكرة خلف زجاجها .. لعنت الرجل ولعنت اقتراحاته الرهيبة، والتي كان مؤداها أن أموت في كل الأحوال وفي كافة الظروف.

لا... لا.. لا وألف لا.

محال أن أترك هذا النهر من السعادة الغامرة بأي حجة من الحجج.

ليذهب الرجل وزوجتي وجرس وكل الأعراف والقيود إلى الحجيم بدلاً مني أنا.

وفي نهاية الكوبري أثناء عودتي لأخذ السيارة اتصلت تليفونيًا بمنزل جرس كي أزف له هذا الخبر الجديد كي يسمعه مني وأسمع تعليقاته الضاحكة على هذا القرار الأخير ولكن للأسف لم يكن أحد موجودًا واستمعت إلى رسالة مسجلة على الهاتف تقول لقد سافرنا إلى المصيف والعودة بعد خمسة عشر يوما. اترك اسمك وعنوانك.

ولكن لن أكون أنا هنا أيضًا يا سيد جرس لأني سوف أسافر في مهمة خارج البلاد لمدة عشرة أيام حسب ما قرر الوزير، كي يتسنى لي الإطلاع على النظام القضائي في فرنسا من بعض جوانبه.

هذا ما تركته له على آلة الإجابة في تليفون منزله.

واتصلت بمريم كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل بنصف ساعة تقريبا.

كان هناك شيئًا جديدًا بداخلي بدأت ولادته من رحم الأمل.

وبدا أن تلك المشاعر والأفكار المتشابكة في طريقها – إن لم تكن بالفعل قد انتهت إلى رأي أخير.

- مساء الخير.

- مساء الخير.

وسألتها ماذا فعلت منذ أن تركتها حتى هذه اللحظة.

قالت في لهجة ناعمة وحالمة وجميلة.

- كنت مخدرة.

- ماذا.

- كنت مخدرة ولم أكن أريد أن أصحو من هذا الخدر الجميل من تأثير مشاعرك والساعات التي قضيناها سويا.. وأنت؟
- أنا حرصت على أن أكون في كامل وعيي حتى أعيش باقي اللحظات منذ أن تركتك وأستعيد كلماتك وهمسك الجميل، فقط كنت أريد أن أغلق أعيني حتى تحتفظان بصورتك بداخلها.
- حرام عليك.
- ثم استرسلت في صوت ناعس ونبرات حالمة وناعمة.
- لقد أيقظت في أشياء كثيرة.. كان محال أن توقظ إلا منك أنت فقط.

وسألتها عن الخبر الذي أرادت أن تقوله لي حين كانت معي.

قالت وفي تردد وشبه تلعثم ممزوج بالحياء.

- أنا كنت عاوزة أقولك.. كنت عاوزة... لا... لا ليس هذا وقته لما ترجع إن شاء الله أبقى أقوله لك لأني مش عارفة تأثيره ها يكون إيه عليك.. على العموم لما ترجع إن شاء الله وأكون أنا أتأكدت من صحته، على أي حال مش مهم دلوقت لما ترجع أحسن.. لما ترجع وهو خبر ها يكون سعيد لنا.

وفي نهاية المكالمة طلبت منها أن تتصل بجرس بعد خمسة أيام وتبلغه بأتى قمت بإلغاء الموضوع الذي حكيت له عنه في الكازينو – وسوف أشرح له الأسباب حين أعود من فرنسا.. وحاولت هي أن تعرف كنه هذا الموضوع وسبب وجوده وسبب إلغاءه فأفهمتها أني سأقصه عليها حين أعود.

قالت: هذا وعد عليك.. وعهد على أني أخبرك بالخبر الخاص بي لما ترجع.

أجبتها بالإيجاب وطلبت منها أن تخبر جرس حين تتصل به – أيضًا بالهدية التي تركتها له معها والتي كتبت عليها أفكار الصديق تدوم إلى الأبد وأن تطلب منه إرسال من يأخذها وعرفتها بأني سوف أتصل بها من خارج البلاد كي اطمئن عليها.. وطلبت منها أن تكون على حذر ورجوتها أن تحافظ على نفسها من أجلي.. وعرفتها أن السفر سوف يكون ظهر اليوم والعودة بعد عشرة أيام.

ستجدني في انتظارك دائما.

أريد أن أقول لك إنك غيرت مجرى حياتي كلها بالكامل... وسوف أتذكر هذا ما حييت.

قالت: المفروض أن المرأة هي التي تغير مجري حياة الرجل عكس المفهوم الشائع والخاطئ والذي يقرر أن الرجل هو الذي بيده مقاليد كل الأمور.

لا... لا... إن المفهوم صحيح، الرجل هو الأقدر على التغيير والتأثير على مجريات الأمور في حياة المرأة.. ولكن معك أنت الوضع اختلف.. أنت التي غيرت مجري حياتي.. نعم.. نعم.. أنت التي غيرت مجري حياتي.. وسوف أظل أذكر هذا ما حييت.. بل أنت التي وهبت لي الحياة.

- قالت ده أمر طبيعي.. لأني أنا المرأة.

- على العموم شكرًا على هذه الهبة.

وودعتها..

واستكملت سيرى على ضفة النهر .. كانت موجاته تسير في هدوء ورقه وعذوبة وكأنما بدا يداخلها النعاس والوسن بعد أن استقرت واطمأنت على نفسها.

وهدأت قليلاً رعشة الحمى التي كانت تزايلني.

لقد قررت في لحظة قصيرة... ولكنها كانت زاخرة بالحب والصفاء- أن أنبذ كافة الآراء الرهيبة التي عاشت معي وعشت معها طيلة العشرة أشهر الأخيرة.. ولا يعني هذا القرار الانتقاص من قدر وأفكار ورجاحة عقل جرس ورأيه المستنير في شخوص الحياة ولكني لا أعتقد أنه كان يأخذ موضوعي مأخذ الجد... أو يأخذه بنفس المنظور الذي كنت أنا أرى الأمور به.. نعم.. نعم.. إني أعرف مدى صفاء ونقاء قلبه وبياض سريرته... وأعلم أيضا شعوره ومبرراته في عدم تقبلة للزوجات، وأولهم زوجتي وزوجته.. كما أعرف مدى تغلغل روح المرح في حنايا روحه.

نعم... نعم.. لم يكن جرس جادا في موقفه تجاه مشروعي المخيف.. لاشك أنه اعتبرها مزحة، ليست إلا ولذا فقد عزمت أن أرسل له هذه المذكرات عقب عودتي من الخارج، كي يقول لي فيها رأيًا مرحًا في هذا الخصوص.

وأقصد بالخارج ، خارج البلاد وليس خارج الحياة.

آه.. لماذا سافرت يا جرس في هذه الفترة بالذات وتركتني بمفردي وكنت أحتاج إليك أشد الاحتياج كي تلغى الخطة القديمة وتعد خطة جديدة أخرى بدلاً منها، خطة تحت عنوان "طلق زوجتك وعش سعيدًا" آه وما كن يجب أن أسافر إلى خارج البلاد في هذه الفترة من حياتي والتي امتلأت بالحب والحنان والصفاء الخلاب وتوهج الحب.

- أجل توهج الحب.

ولكن ما الذي أستطيع أن أفعله حيال هذا الوزير المتجهم دائما والعبوس في كافة الأحوال، والذي لا يعلم ولن يعلم أن مغادرتي لتلك المدينة والتي تحيا بها مريم وتستنشق من نسيمها- أمرًا يفوق طاقتي واحتمالي.. ما الذي كان يضير النظام الفضائي لو تم تأجيل هذا السفر شهرًا أو شهرين.

لا مناص مما ليس منه بد.

وحين وصلت إلى منزلي ، حاولت أن أكون بشوشًا مع زوجتي .. وآثرت أن لا أتحدث معها في أية شيء من شأنه أن يعكر هذا الصفو الذي أنا عليه... ورسمت ابتسامه ودودة على وجهي حين ولجت إلى داخل المنزل... كانت مافتتت تمارس تلك الطقوس الغريبة والغامضة... وجلست بالقرب منها كي أشاهد ما تفعله عن قرب، ولكني لم أفهم شيئًا مما تؤديه أو تنتوي فعله وإن كان قد وضح على قسمات وجهها التركيز الشديد فيما كانت تؤديه من طقوس وإشارات مبهمة وتمتمات غامضة.

فقط أثار اهتمامي أن عدد الوريقات التي كانت دائما تضعهم أمامها أثناء مزوالتها لتلك الطقوس، قد أصبحت ثلاث ورقات فقط وليست أربعة.

سألتها مازحًا:

أين الرابعة..؟ هل هي في أجازة اليوم؟

ولم أتلق ردًا.. واستمرت هي في طقوسها وكلماتها الغامضة.. ولم تعن بالرد على سؤالي، ولمحت رعشة يسيرة على أصابع يدها اليسري الممسكة بالأوراق.

لا بأس... لا شيء يهم.

وغادرتها تستكمل تعاويذها ..وطلبت منها أن تعد لي كوبا من عصير الليمون. أو فنجانًا من القهوة. . أيهما أسهل بالنسبة لها ثم توجهت إلى غرفة المكتب..

وقمت بترتيب كافة أوراقي والصور الخاصة بي وخطابات جرس.. وحين اصطدمت يدي بتلك الزجاجة السوداء الصغيرة والتي أخفيت بداخلها المسحوق القاتل بعد أن طحنت حبوبه من قبل، ارتسمت على وجهي ابتسامة يسيرة وأنا أنظر إليها.

- لا... لا.. لا لزوم لهذا الطبع.
- وترددت ..
- هل أتخلص منها الآن؟
- ما دام ليس له لزوم.. ولكن.. ولكن.. ربما قد أفكر في الأمر مرة أخرى أو بشكل أخر.

على العموم سوف أرجئ التخلص منها لحين عودتي .. ليس منها فقط.. بل وسوف أتخلص من أشياء أخرى كثيرة وأتحرر من قيود عديدة غيرها.

ونظرت إلى الزجاجة.

حين أعود .. حين أعود سوف أتخلص منها... هذا قراري النهائي.

وخيل إلى أن محتويات الزجاجة قد تقصت قليلاً عما كانت عليه من قبل تماما كما خيل إلى من قبل أن هناك من يعبث بأوراقي السرية.

ولكني نفضت هذا الخاطر عن ذهني.

نقصت أو زادت فلا حاجة لي أو لغيري بما تحتويه هذه الزجاجة المشئومة.

لا بأس.

لم يعد شيء يهم بعد الآن – أو على الأقل بعد عشرة أيام من الآن

وأخذت أسجل وأكتب هذه السطور.

ولقد تناهي إلى سمعي أكثر من مرة أثناء الكتابة أن هناك حركة يسيرة وخافتة لوقع أقدام تتلصص وتتحرك في هدوء خارج باب غرفة المكتب.

أرهفت السمع مصغيا.. ولكن لم أستطع التأكد.

آه.. آه.. ربما .. آه تماما، يبدو أن السيدة، ربما قد تحركت في غرفة نومها قاصدة غرفة المطبخ لإعداد عصير الليمون أو القهوة حسبما طلبت منها قبل أن تخلد هي إلى النوم.

يبدو أن السيدة قد أصبحت ودودة في آخر اللحظات.

فات الأوان يا سيدتي على بذل الوفاء والتضحية.. فنحن الآن في الوقت الضائع.

تمامًا كل شيء قد أصبح في الوقت الضائع.

ومرة أخرى أحسست حركة وقع الأقدام خارج باب الغرفة.

وأرهفت أذناي وأصخت السمع من جديد.

اقترب وقعها في حذر وتلصص.

ثم ابتعدت في هدوء.

ثم عادت واقتربت من جديد.

إلا أنها سرعان ما تراجعت مهرولة ومبتعدة عن الباب مرة أخرى.

وأردت أن أتأكد من الأمر وأقطع الشك باليقين فوقفت وقمت بفتح باب الغرفة..

ولكن لم يكن هناك ثمة أحد لا خلف الباب ولا في الردهة الممتدة أمامه والتي كانت مضاءة بضوء أصفر باهت.

وبدت هناك حركة يسيرة صادرة من غرفة المطبخ حيث كانت السيدة تعد القهوة.

وسألتها بصوت عالي النبرات.

- خلاص فنجان القهوة.

وجاءني صوتها عبر الردهة من المطبخ مجيبة عن سؤالي.

- عشر دقائق وينتهي كل شيء.

وعدت إلى أوراقي مسرعا كي استكمل كتابتي لهذه السطور.. وكنت قد أعددت مظروفا كبيرا أضعها فيه حيث كنت قد انتويت أن أرسلها إلى جرس قبل أن أعلم بسفره المفاجئ من جهاز الرد على المكالمات الموضوع على تليفون منزله وكنت قد كتبت على المظروف بخط كبير.

"إلى جرس".

***

الخاتمة:

في ساعة مبكرة من صبيحة يوم 27/ 7 من العام 2000 كان جرس الهاتف يدق بإصرار وعنف في منزل جرس . والذي كان قد استغرق في نوم عميق بجوار زوجته.

قال في صوت يغالبه النعاس والإرهاق.

- نعم.

- جرس.

كان صوتا نفاذا وآمرا.

- نعم.

- أنا حرم...

وانتقض مذعورًا وقد وافته ذاكرته بأسرع من البرق.

- أهلا يا فندم.. أهلا يا فندم.. أهلا.. أهلا.. أهـ.

كنت أريد أن أبلغك بوفاته منذ خمسة عشر يوما.. أو بمعنى آخر بانتحاره بتناوله لكمية كبيرة من مسحوق عقار شديد التنويم... وأنا باعرفك هذا لسببين أولهما أنك كنت صديقه المخلص وناصحه الأمين والأمر الثاني لأنه ترك لك بعض مذكراته الخطية وكانت معنونة باسمك وعثرت عليها الآن وأيضا خطاب خاص بك لأنه كتب لك في ظروف معينة هو وصورة معينة... فاهم.. فاهم.. وسأرسلهم لك وربما احتفظ ببعضهم.. حسب الظروف... فقط كنت أريد أن أعلم هل وصلت من المصيف أم لا؟

خيم عليه فترة من الوجوم والصمت الرهيب... ولم يتيقن هل في حلم يعيش أم أنه يكابد حقيقة مفزعة.

قال بصوت متحشرج.

على العموم البقية في حياة حضرتك.. وأي خدمة أنا على ...

لا... لا.. أنا على العموم بأقدم لك الشكر على مشاعرك التي كنت تحتفظ بها لي.. أما مشاعر العزاء فلا لزوم لها، أنت عارف أنه انتحر.. والذي يقدم على الانتحار يعد كافرًا ومأواه النار هو ومن حرضه أو ساعده أو نصحه بذلك.. هذه قواعد شعريعتنا وديننا يا جرس.

آه.. آه.. طبعا... طبعا..

أما خدماتك فقد أعانني الله على مصيبتي واستطعت أن أنهى كل شيء من تحقيقات وتشريح وجنازة.. وأنت عارف أن أصدقائي في الطب الشرعي ومرؤوسي وقفوا بجانبي كلهم في كافة الإجراءات وساعدوني في كافة الخطوات.

آه...

على العموم بلغ سلامي إلى ابنتيك .. مريم.. مريم... وشكرية.

وأغلق الهاتف بطريقة بدا فيها الجفاء المتبادل بين الطرفين واضحًا وجليًا.

ولم يستطيع جرس التحرك من فوق السرير وقد خيل إليه أن هناك سلاسل من حديد قيدت جسمه وأوثقته بقوائمه.

واستغرق في ألم مكبوت شديد الوطأة على نفسه وحاول جاهدًا أن يكتمه بداخل صدره ولكن لم يستطيع فشهق شهقة شديدة أيقظت زوجته فأنتفضت في ذعر أما هو فقد انتابته نوبة من البكاء المر الذي انخرط فيه بطريقة هستيرية مما جعل زوجته تنظر إليه في رعب متسائلة عما اعتراه.

لقد مات.. مات.. مات.. مات..

ولم يتحدث بغير هذه الكلمة.

وأخذ يكررها.

وعادوته من جديد نوبة البكاء الهستيري مرة أخرى

وحين أفاق من نوبة هذا البكاء الذي استمر لأكثر من نصف ساعة، أخذته نوبة صمت ثقيل. ولم يستطع حتى أن يتحدث مع امرأته.

وقطع هذا الصمت رنين الهاتف الذي دق مرة أخرى.

ونظر إلى مبعث هذا الرنين وداخلته مشاعر الشكوك والريبة والتوجس والمقرونة بالرعب والخوف القاتل مما قد يسمعه مرة أخرى .. أو يعلن به.

لكنه غالب خوفه ورفع سماعة الهاتف

- أيوه..

- الأستاذ جرس..

جاءه صوتًا رقيقًا ناعمًا ومستكملاً في حيوية دفاقة..

- أنا بقالي أربعد أيام بأحاول الاتصال بك دون جدوى .. تقريبا حضرتك كنت غائبا عن المنزل.

- استراح قليلاً وهدأ بعض الشيء وزال عنه الشعور بالخوف والتوتر والرعب.

بالفعل .. كنا في المصيف ووصلنا فجر اليوم ولكن مين حضرتك؟

- أنا مريم..

- من؟

- مريم

- مريم من؟

- مريم يا أستاذ جرس.. مريم عرفت والالا..

- آه... آه وعادوه خوفه وتوجسه.

- على العموم احنا حاولنا أنا وهو الاتصال بك قبل ما يسافر للخارج علشان كان يريد إبلاغك بأنه عدل عن القيام بالموضوع اللي اتناقشتم واتفقتم عليه في الكازينو من شهرين أو ثلاثة، وأنه لن يقوم بتنفيذه لأنه اقتنع بعدم لزومه أو مشروعيته وتراجع عنه قبل ما يسافر وحاول الاتصال بك لكن أنت كنت في المصيف.

- آه... آه.

- وهو سافر إلى الخارج في مهمة عشرة أيام وأفهمني بأني اتصل بك وأعرفك أنه فيه حاجة عندي تركها لك تخصك أنت وأنا من يومها وبأحاول اتصل بك دون جدوى وهو قال أنه هايتصل بي من باريس عند وصوله هناك ولكنه للأسف لم يتصل وقال ها يعود خلال أسبوع.. ولم يعد حبي الآن كما وعد، هل من الممكن الاتصال بمنزله كي تعرف سبب تأخره.
- مريم مين.. ومشروع أيه وكازينو أيه؟ ومذكرات أيه ومنزل مين؟
- يا أستاذ جرس أنا مريم.
- فاهم
- طيب أيه المشكلة... على العموم أنا بلغتك الرسالة وهديته التي تركها عند لك يوم 10/ 7 سوف أرسلها لك.
- لا.. لا داعي للتعب. سترسل إلى نسخة أخرى غيرها.. ستصلني
- نسخة أيه يا أستاذ جرس.. دي هدية مركونة عندي من عشر أيام أو أكثر اشتراها مخصوص باسمك وعلشان حضرتك.
- مفهوم... مفهوم... مفهوم

وحاول أن يجد كلامًا يقوله غير ذلك.. ولكن دون جدوى.

وتسللت أشعة الشمس عبر مصاريع النافذة، وتسللت معها خيوط الضوء واضحة جليه.. بدت خافتة ثم صارت أكثر لمعانًا ووضوحًا وسطوعًا.

وأخذ يردد لنفسه

- مفهوم.. مفهوم..

وتلاشت الحيرة والدهشة.

وارتسمت على وجهه ابتسامة كالحة لا تخلو من البلاهة والانكسار والتعاسة الغير متناهية ولم تخل ملامح وجهه أيضًا من آيات ومخايل الخوف القاتل على ابنيته.

- مريم
- وشكرية
- أجل

خوف شديد اعتراه جعله يتوقف عن البكاء وعن كلمة مفهوم... مفهوم وأخذ يردد لنفسه ولزوجته التي كانت تنظر إليه نظرات عدم الفهم.

- لا داعي لنبش القبور

لا داعي لأن تكون هناك حربا أو حروبا أخرى ستحرق أول ما تحرق ابنتيه.

- مريم

- شكرية

انتبه إلى ما قالته السيدة في المكالمة الأولى عن أسماء ابنتيه

- مريم؟

- وشكرية؟

هل هناك خطأ في الأسماء؟

لا.. لم يكن ثمة خطأ فيما سمعه

مريم.. وشكرية.

وتلاشي الوهم

مات من مات

ولا داعي لنبش القبور

ثم عاودته مرة أخرى نوبة البكاء الحارق، كما انتابته مشاعر الألم والخوف المكبوت والانكسار والحزن المميت مرة أخرى.

ولم يعرف هل بكاءه حزنا على ما حدث.

أم خوف مما سوف يحدث

لمريم

وشكرية

بل وآخرين غيرهما

المنيا 2000

28 **أغسطس**

أنوروجدي

obeikandl.com